مؤتمر الموت

maktabbah.blogspot.com

أكبر مكتبة للكتب و الروايات الحصرية
والمميزة والنادرة بصيغة PDF

تابعونا على الموقع الرسمي

www.maktabbah.blogspot.com

أو على قناة التيليجرام

t.me/alanbyawardmsr

قِبلة ترضاها

يا له من يوم متعب.. فقد جئت للتو من أكبر مؤتمر للقضايا الجنائية في الشرق الأوسط.. إذ يجتمع المحققون من مختلف البلدان العربية لتبادل خبراتهم في كشف أكثر القضايا غرابة وتعقيداً.. كان المؤتمر مكتظاً بأكثر المحققين براعة وأشدهم دهاءً.. أما القاعة التي أقيم بها هذا المؤتمر المهم فكانت بالغة الجمال تضاهي قصور السلاطين التي نسمع بها في حكايات شهرزاد والملك شهريار.. رغم أنني لم أرها على أرض الواقع.. كانت النجفة تتوسط سقف القاعة وتضيئها بأكملها وكأن نورها ناتج عن انفجار (المستعر الأعظم) أو ما يعرف بـ (Super Nova).. كانت صنوف الأطعمة تزين الطاولة المستديرة وكأنما كان ذاك المؤتمر أحد الأعراس الخليجية.. التي لا تنتهي إلا بانتهاء صلاحية الحسابات البنكية للعريس وذويه وجيرانه وأهله كافة.. ثم يخرج بعضهم ليذم سوء تنظيم الزوج وتدني مستوى المأكولات المقدمة.. معذرة لخروجي قليلاً عن صلب الموضوع.. ولكن طرأت هذه الظاهرة على بالي وأحببت أن أشارككم ما يجول بخاطري.. أما مقاعد القاعة فكانت مريحة للغاية كأرائك فارهة صنعت من أجود أنواع الحرير.. سأذكركم بنفسي.. أنا محقق البحث الجنائي (حسن).. المسؤول عن التحقيق في قضية جريمة (المنصة)(666).. فقد أبدى الكثير إعجابهم بتلك القضية الغريبة التي شغلت جل تفكيري منذ أن توليت منصب محقق في البحث الجنائي قبل عدة سنوات.. لذلك.. قررت تسليط الضوء على مجموعة أخرى من القضايا التي لا تقل غرابة عن تلك الجريمة التي واجهتني في بداياتي كمحقق مبتدئ في البحث الجنائي.. لكن.. في هذه المرة.. سيشاركني مجموعة من الزملاء والمجرمين وربما الضحايا لسرد قصصهم التي واجهتهم وقلبت حياتهم رأساً على عقب.. كل ذلك سينقل لكم من مؤتمر القضايا الجنائية الذي يسمح بمشاركة المصرح لهم من العامة بالإضافة لكبار الضباط ورجال الشرطة!.. وفي اليوم الأول للمؤتمر الذي امتد لسبعة أيام.. انبرى العقيد (ن. أ. ع) من دولة (ت. ن ب) الشقيقة.. وقال بصوته الجهوري:

- اسمحوا لي يا سادة بأن أخبركم بتفاصيل القضية التي استلمتها منذ عدة أشهر..

أكمل العقيد مسهباً:

- كان ذلك في شهر آذار.. وكنت أقضي إجازتي في منتجع (س. ر. أ) للغولف.. جاءني اتصال طارئ من مكتب التحقيقات الخاصة طالباً مني أن أنهي إجازتي على الفور.. لا أخفيكم بأني لم أكن سعيدا في بداية الأمر.. ولكنني ما إن علمت بأنني

خوّلت للتحقيق في أغرب قضية منذ أن بدأت العمل في مكتب التحقيقات الخاصة بالعاصمة.. حتى دبّ هرمون (الأدرينالين) في جسدي.. كتدفق المياه من فوهات الأنابيب الضخمة.. عشت تلك الحقبة بين طيات الملفات والأوراق المتناثرة هنا وهناك.. نصحني بعض زملائي بعدم الذهاب لرؤية المتهم أو الضحية.. سموه كما يحلو لكم لسبب ما ستعرفونه لاحقاً.. لكنني لم أستطع أن أكبح جماح نفسي.. وتوجهت لمشفى العاصمة للأمراض العقلية.. كان المشفى صغيراً.. له رائحةٌ كرائحة الأسماك المتعفنة.. أما البلاط فكان مرقطاً باللون الأسود الذي بهت مع مر السنين.. كانت أبواب الغرف من خشب رطب متآكل.. وارتسمت التجاعيد على الجدران كما ترسم على وجه رجل مسن.. توجهت مباشرة إلى الغرفة التي يقطن فيها (راشد)!.. ومنذ ذلك الحين لم أهنأ بالنوم ولو لساعة متواصلة.. لقد كان ما سمعته ورأيته كفيلاً لتجميد دماء من يسكن الكرة الأرضية كافة.

كان (راشد) إماماً لأحد المساجد في قرية نائية.. تبعد تلك القرية عن العاصمة مسافة فرسخ .. لم يكن أهل تلك القرية من المسلمين ولم يعرف منهم أحدٌ الصلاة حتى مجيء (راشد).. الذي راح يدعوهم إلى الالتزام بتعاليم الشريعة الإسلامية.. لم يجد صعوبة في هداية أهل القرية لما يمتازون به من بساطة وفطرة سليمة.. ولم تمضِ السنة الأولى حتى بُني مسجد القرية بواسطة فاعل خير، كرّس حياته من أجل خدمة المسلمين.. لم ينتقل (راشد) وحده إلى تلك القرية.. بل كانت معه أخته (مريم) التي ساهمت في بناء المسجد، وذلك لعملها في الهندسة المعمارية.. وقد كانت لمساتها أخّاذة.. وقد أضفت على المسجد مزيداً من الروحانية والطمأنينة.. لاسيما المحراب الذي صممته باحترافية بالغة وزخارف إسلامية رائعة بعدما حددت اتجاهه بدقة بالغة باستخدام البوصلة المغناطيسية.. كانت المساحة الخارجية للمسجد شاسعة يغمرها الغطاء النباتي.. فباتت جنّة غنّاء تبهج الناظر إليها.. افتُتح المسجد بإمامة (راشد) وغص بجموع المصلين.. كان جميع أهل القرية مبتهجين بذلك المسجد الضخم الذي أصبح منبعاً للخير خاصة في أيام شهر رمضان المبارك!! في أحد الأيام.. قصد المسجد عابرُ سبيل أتى من شُقّة بعيدة.. وبعد أن انتهى من الصلاة خلف الشيخ (راشد).. توجّه ليتمعن في جمال المحراب.. قال موجهاً كلامه لـ(راشد):

- غفر الله لك.. ترى من صمم هذا المحراب؟!.. إنه تحفةٌ فنية ساحرة.

غمغم (راشد) ببعض الأذكار والتسبيحات ثم أردف قائلاً:

- غفر الله لك.. يبدو أنّك غريبٌ عن هذه القرية.. فجميع أهلها يعرفون بأن أختي

maktabbah.blogspot.com

من صمم هذا المحراب!

(عابر السبيل) وهو لا يزال متأملاً ذلك المحراب:

- أبلغها بإعجابي بعملها المتقن.. ولكن...

قاطعه (راشد) في انتظار أن يوجه الغريب انتقاداً ما لعمل (مريم):

- لكن ماذا؟!.. كم أكره تلك الكلمة بعد المديح.. قالها بمرح.

(عابر السبيل) ناظراً للشيخ (راشد):

- ولكنني أتيت من جهة الشرق قادماً من قريتي البعيدة ولم أغير وجهتي.وكان الطريق باتجاه واحد دون انحراف..أي أنني كنت باتجاه الغرب طوال مدة سفري.. حتى وصلت إلى هذا المسجد.. ألا تعلم يا سيدي بأن القبلة تنحرف عن الغرب بمقدار 50 درجة باتجاه الشمال؟!

سقطت المسبحة من يد الشيخ (راشد) وقال بصرامة:

- لكننا استخدمنا البوصلة المغناطيسية لتحديد اتجاه القبلة.. ولا أظن أن مهندسة معمارية محترفة ستقع في مثل هذا الخطأ البسيط!

قال (عابر السبيل) محاولاً تهدئة (راشد):

- حسناً.. هل تستطيع أن تريني تلك البوصلة.. فأنا متأكد مما أقول يا سيدي.. ولم أقصد من هذا كله أن أشكك في قدرة شقيقتك أو التقليل من شأنها.. صدقني.

تنهد (راشد) وفكر ملياً ثم قال:

- سترافقني اليوم على الغداء.. وستكون ضيفي الليلة.. وما أرجوه منك أن يبقى ما تدعيه سراً حتى نتأكد من كل شيء.

وافق (عابر السبيل) بحماسة.. ثم صرّح بعينين لامعتين:

- لك ما أردت!.

توجه الاثنان إلى منزل (راشد) الذي لا يبعد عن المسجد كثيراً.. أما الطريق فكان ترابياً متعرجاً يخلو من المارة بسبب أشعة الشمس الملتهبة.. وصل الاثنان إلى منزل طيني اتخذت نوافذه شكل ورود متشابكة وكان مرزاب المياه جافاً من حرارة الشمس.. إذ تكسوه حفنة طينية تراكمت عند فوهته.. أما الباب الحديدي الصدئ

فكان يحكي بساطة ساكني المنزل وفقرهم.. رحّب (راشد) بضيفه وأكرمه خير إكرام.. فالفقراء في أصلهم كرماء لولا شُحّ المال ونقص المؤونة.. كان (سامر).. كما عرّف بنفسه.. مستأنساً بصحبة (راشد) الذي راح يخبره عن رحلاته في بلدان العالم من أجل الدعوة للإسلام.. حتى استقر به الحال في هذه القرية.. وآل به الحال لكسب لقمة عيشه من إحسان المصلين ووجهاء القرية!.. قال (سامر) ويداه تقطز ماءً:

- لقد كان الغداء لذيذاً يا سيدي.. شكراً لك على حسن ضيافتك.. يبدو أن شقيقتك ماهرة في الهندسة والطبخ معاً!

تذكر (راشد) ما قاله الضيف في المسجد وهزّ رأسه وقال بنبرة حزينة:

- انتظرني لحظة.. سأجلب البوصلة من غرفة مكتبي.. لن أتأخر أبداً.

راح الشيخ بخطوات مثقلة ليسأل (مريم) عن تلك البوصلة:

- (مريم).. هل تعلمين أين وضعتُ تلك البوصلة؟.. لقد نسيت مكانها ولكنني أعلم أنها في غرفة مكتبي بلا شك.

توقفت (مريم) عن تكوير العجين والتفتت إلى أخيها بدهشة:

- البوصلة؟!.. وما الذي تريد أن تفعله بها؟!.. يااااه.. لقد نسيت كل شيء عن الهندسة والبناء وكل شيء.. يبدو أن نهايتنا في هذه القرية البائسة يا (راشد).

- لن نتكلم في هذا الموضوع مرة أخرى يا (مريم).. سيعوضنا الله عن كل شيء.. لأننا أخلصنا عملنا وكرّسنا حياتنا لخدمة الدين.. والآن أين هي؟.. قال (راشد) بحنق.

تابعت (مريم) تكوير العجين ودموعها قد تجمعت في مقلتيها:

- في الدولاب الخشبي.. بجانب خريطة مسجدك يا جناب الشيخ.. قالتها باستهزاء.

لم ينبس (راشد) ببنت شفة.. بل قصد المكتبة في عجالة وفتش في دولابه الخشبي حتى وجد ضالّته:

- ها هي.. أرجو أن يكون (سامر) على خطأ.. قال محدثاً نفسه.

قبض (راشد) على البوصلة وتوجه إلى مجلسه الذي يحتل مساحة صغيرة من منزله.. كان السقف مصنوعاً من جذوع النخل.. وكانت الجذوع تطل على أرض

maktabah.blogspot.com

المجلس المكسوة بسعف النخل المجفف.. جلس (راشد) وأسند ظهره على وسادات بيضاء صنعت من قطن مصريّ بال.. تكلم وهو يلهث:

- تفضل يا (سامر).. فأنا لا أعرف كيف أستخدم هذه البوصلة.. اشرح لي ببساطة ما تدّعيه.

أخذ (سامر) البوصلة وأخذ يقلبها يمنة وشمالاً.. ثم قال بعد أن نفضها من الغبار:

- حسناً.. هذه القرية تقع على مقربة من بحر (الريبة) وهو يقع بدوره جنوب شرقي مكة المكرمة.. فإذا أردنا استقبال القبلة فيجب أن نتجه إلى الشمال الغربي.. أما محراب المسجد فينحرف عن القبلة انحرافاً شديداً.. وأنت تعرف أن الصلاة باتجاه يغاير القبلة له أثر سلبيّ لجلب الشياطين والمردة...

قاطعه (راشد) بحزم:

- أعلم.. أعلم.. هاتِ ما عندك يا (سامر) ولا تثرثر.

قلّب (سامر) البوصلة محاولاً تحديد جهة الشمال.. وقال بثقة:

- يبدو أن هذه البوصلة لا تعمل يا جناب الشيخ.. انظر لقد حددت جهة الشمال بانحراف جليّ.. انظر إلى الظل خارج أروقة منزلك وستعرف ما أعني .. وما قلته لك في المسجد صحيح بلا شك.

ارتعدت فرائص (راشد) وهمّ أن يكسر البوصلة.. وقال لـ (سامر) بنبرة غاضبة:

- اسمعني يا (سامر).. لا أريدك أن تتفوه بأي شيء.. وستقام الصلاة كما هي وفي الاتجاه نفسه.. يبدو أنك أتيت لتفسد دين هؤلاء القوم بعد أن اعتنقوا الإسلام.. اغرب الآن عن وجهي ولا تعد إلى هذه القرية.. وإلا سيكون شاهد قبرك شاهداً على موتك الشنيع.. ولا تنس أن تأخذ هذه الصورة التعيسة التي التقطتها بجهاز الشيطان التابع لك .

همّ (سامر) بالمغادرة غاضباً.. قال وهو يرمي الصورة باتجاه (راشد):

- أرجو أن تحتفظ بهذه الصورة.. ستذكرني يوماً ما.. أعدك بذلك!

رحل (سامر) وما زال (راشد) يتنفس بصعوبة.. خاف على مكانته في القرية ولكنه لم يخف على مكانته عند ربّ العالمين.. أخذ يدعو الله بأن يبقى ما عرفه سراً وكأن الله سيستجيب لمن ولّى عباده قبلةً لا يرضاها.. لم يجد (راشد) بُدّاً من إخبار أخته

maktabah.blogspot.com

بفظاعة ما فعلته وإن كان بغير قصد.. شعرت بالحزن في بادئ الأمر ولكنها ما لبثت أن شعرت بأنه كان عقابا استحقه أخوها لظلمه لها ومنعها من ممارسة ما تحب.

توقف العقيد (ن. أ. ع) بعد أن قاطعه أحد الضباط:

- وكيف عرفت هذه التفاصيل والمشاعر بهذه الدقة أيها العقيد؟!.. أرجو ألا تكون قصتك من وحي الخيال ليس إلا.

ابتسم العقيد.. وقال بثقة:

- ما أخبركم به هو ما حدثنيه (راشد) بنفسه.. وهو ما شعر به حيال نفسه وأخته (مريم).

قال الضابط معقباً:

- ولم لم تقابل (مريم).. حتى مشاعر النساء تؤخذ من أفواه الرجال؟!.. عجبي!

أجاب العقيد بعد أن ازدرد لعابه:

- أرجو ألا تستبق الأحداث يا حضرة الضابط.. انتظر وستعرف كل شيء لاحقاً.

أكمل العقيد بعد أن أخذ نفساً عميقاً ليفرغ جام غضبه في الهواء:

- استمر (راشد) في إمامة الناس وكأن شيئاً لم يكن.. وكان يعيد صلاته عند عودته إلى منزله.. وكانت أخته تنظر إليه بنظرات احتقار تارة.. وشفقة تارة أخرى.. شعر (راشد) بالذنب حيال ما فعله.. فلم يكن هناك بدٌ من إخبار صديقٍ أو أحدٍ يثق به.. فلم يجد إلا صديقه (محسن).. فـ (محسن) هو من يساعد الشيخ في حل مشاكل الناس وإصلاح ذات البين.. ويعينه إذا ما استعصى عليه أمر ما.. كان (راشد) متردداً بعض الشيء في بداية الأمر.. ولكن.. قرر بعد الانتهاء من إحدى الصلوات أن يخبره بالأمر برمّته.. نظر (راشد) إلى (محسن) وهو يلتفت متأكداً من خلو المسجد من المصلين:

- (محسن).. اردت ان اخبرك بأمر ما.. ولكن ارجو ان يبقى سراً بيننا.. وبعد أن حدثه (راشد) بالأمر.. تفاجأ (محسن) وغضب مما حدث.. ولكنه لم ينبس بنت شفة.. قال (راشد) مستفهماً:

- لم أنت صامت يا (محسن)؟!.. لم أخبرك لتعقيد الأمور.. أرجوك تكلم.

maktabbah.blogspot.com

قال (محسن) بنبرة حزينة:

- لا أستطيع أن أجد حلاً الآن يا (راشد).. فإخبار أهل القرية بهذا الأمر لن ينتهي بك إلا في قبرك ولاسيما أنك تعمدت السكوت عن هذا الخطأ ومواصلة الصلاة في اتجاه مغاير لاتجاه القبلة.. ولكن يمكننا التأكد من صحة كلام عابر السبيل من خلال الحصان الحديدي!

- وما الحصان الحديدي.. صرخ (راشد).

- إنه حصان حديدي صغير الحجم.. ورثته عن جدي عن أجداده.. قال (محسن) شابكاً أصابعه بقوة.

- وكيف يعمل ذلك الحصان؟!.. قال (راشد) جالساً القرفصاء.

- لا أعلم صحة ذلك ولكن جدي يستخدمه عند سفره لتحديد القبلة.. اجعل الحصان في دلو ماء وسيتجه رأسه مباشرة نحو القبلة!!

نهض (راشد) عندها متمسكاً بحبل الأمل الأخير:

- هيا لنذهب إلى منزلك الساعة.. لا أستطيع الانتظار.. هيا!

توجه الاثنان إلى منزل (محسن).. كانت الدقائق تمر كمر السنين.. وكان (راشد) يجلس تارة ويقف تارة أخرى.. وما إن وضع الحصان الحديدي في دلو الماء.. حتى فقد (راشد) أمله الوحيد.. وأكد ما قاله (سامر).. وزاد (راشد) حيرةً على حيرته.

استمر (راشد) بإمامة المصلين لأشهر عدة.. ولم يزدد حاله إلا حزناً وسوءاً.. بدأ عدد المصلين في التناقص يوماً بعد يوم.. وكأنما علموا بما حدث.. وأصبح مجلس (راشد) خالياً بعد أن كان مكتظاً بالناس الذين يعدونه الأب الروحي للقرية.. ولم يبق معه إلا (محسن).. في يوم توسطت فيه الشمس كبد السماء.. وبعد تكبيرة الإحرام.. ارتج المسجد بأصوات المصلين.. وكأنما عددهم قد تجاوز الالاف.. فرح (راشد) في البداية ولكنه أوجس في نفسه خيفة لأنهم لم يرددوا تكبيرة الإحرام خلفه.. بل كان كلاماً غير مفهوم بنبرة متحشرجة.. لم يأبه (راشد) لخيالاته وأكمل الصلاة.. وما إن انتهى حتى رأى منظراً بشعاً خلفه.. كانت جدران المسجد ملطخة بالدماء.. وكانت أسقفه تتشقق وكأنها بوابة لجهنم.. ولم يكن في المسجد أحدٌ حتى (محسن)!

خرج (راشد) من المسجد مسرعاً.. متوشحاً ملاءته تحت إبطه.. كان يركض

maktabah.blogspot.com

بجنون حتى وصل إلى بيته في حالة يرثى لها.. حاولت (مريم) تهدئته ولكنها فشلت في ذلك.. فاضطرت إلى طلب (محسن).. والذي جاء بدوره إلى منزل (راشد).. وكانت علامات القلق بادية على وجهه.. قال وهو يربت على كتف (راشد):

- ما الذي حدث؟!.. وما الذي حلّ بك يا (راشد)؟!.. ما زال جسدك ينتفض بشدة.. أرجوك أخبرني.

كانت (مريم) واقفة تنظر إلى حال أخيها بقلق.. لم يكن (راشد) راغباً في الحديث.. ففهمت بدورها ذلك.. وغادرت متعذرة بإكمال أعمالها المنزلية.. نظر (محسن) إلى (راشد) قائلاً:

- هيا يا (راشد).. لقد غادرت (مريم) للتو.. تحدث.. ما الذي جرى؟!.

تكلم (راشد) بصعوبة بالغة:

- لِمَ لم تأت للصلاة اليوم يا (محسن).. وددت لو رأيت ذلك بنفسك.

قال (محسن) واضعاً يده على رأسه:

- لقد شعرت ببعض الإعياء اليوم.. وأردت أن أستريح في المنزل إلى حين استعادة عافيتي.. والآن أخبرني.. ما الذي رأيت؟!

انتصب (راشد) ومدّ رجليه في تأوه:

- لقد رأيت عجباً.. لا يستطيع بشر أن يتحمل رؤيته.. كانت أصواتهم تعم المسجد.. لقد ارتجّ المسجد يا (محسن).. ولطخوه بالدماء أيضاً!!

- من؟! من هم؟!.. قال (محسن) بدهشة.

- يبدو أن الشياطين علموا بأمر انحراف القبلة المتعمد وأتوا للعبث معي في المسجد.

نهض (محسن) فجعا.

- الشياطين؟!.. ما الذي تقوله يا صاح؟!.. يبدو أنك تتوهم.. استعذ بالله وسنذهب غداً لنرى ما حدث.. لا تخف يا صديقي.. ستكون بخير.

في اليوم التالي.. توجه (راشد) و(محسن) إلى المسجد.. وكانت المفاجأة!.. كان المسجد ناصعاً لا يشكو من شيء.. لم يكن هناك أي أثر للدماء على جدرانه.. وكانت

maktabah.blogspot.com

روائح البخور تفوح في أرجائه.. نظر (محسن) إلى (راشد) نظرة معاتب.. طأطأ رأسه ثم قال نافخاً الهواء من أعماق رئتيه:

- يبدو أنك متعب يا (راشد).. لم يحدث أي شيء مما ذكرته لي.. انظر إلى المسجد أمامك.. هل ترى دماء؟!.. هل تسمع أصواتاً؟!.. أجبني أرجوك!!

صمت (راشد) برهة ثم قال بحصافة:

- يبدو أنني أتوهم.. سأترك الصلاة في المسجد وستتولى أنت إمامة المصلين لحين شفائي.

قال (محسن) وعيناه مفتوحتان:

- ولكن يا (راشد) لا أستطيع...

قاطعه (راشد) بصرامة:

- ستكون إماماً للمسجد في غيابي.. فلا تناقشني في ذلك.

هزّ (محسن) رأسه بابتسامة.. ثم أردف قائلاً:

- لقد عانى جدي (إسماعيل) مما تعانيه يا (راشد).. كان يتخيل أشياء لا وجود لها.. معذرة منك.. ولكن حالته لم تدم طويلاً.. فقد استطعنا الحصول على ترياق مكّنه من التخلص من ذلك المرض.

- وما هو الترياق؟!.. قال (راشد) متكئاً على يد صديقه.

قال (محسن) وهو يمضغ اللبان كعادته:

- نرجع إلى المنزل الآن.. وسأحضره لك بنفسي.

في منزل (راشد).. كان (محسن) منهمكاً في تحضير الترياق بأيدٍ مرتجفة.. كان (راشد) يراقبه باستياء:

- رائحته كريهة.. ما هذا الترياق بحق الله؟!.

توقف (محسن) وهو يطبخ الخليط:

- المعذرة يا (راشد).. لقد نسيت أن أخبرك بأن الترياق له رائحة كرائحة مياه الصرف الصحي.. فالخليط مكوّن من بول البعير.. ولحم الضأن.. بالإضافة إلى ترقوة

maktabah.blogspot.com

الماعز وعيني عكرشة .. تشرب الخليط كل صباح مع الخل والملح لمدة لا تتجاوز ثلاثين يوماً.

اشمأز (راشد) من مكونات الخليط.. وقال وقد أصابه الغثيان:

- ماذا؟!.. ثلاثون يوماً؟!.. هل تريدني أن أشربه كل صباح؟!.. هل جننت يا (محسن)؟!.

لا تخف يا (راشد).. فقد كان الطبيب الذي عالج جذي حاذقاً.. وكان ممن تُضرب إليه أكباد الإبل .

تنهد (راشد) في خضوع وإطراق.. فكان يثق بصديقه (محسن) ثقة عمياء.. فقد كان (محسن) صديقه منذ أن حظت رجله في القرية كما ذكرت آنفاً.. استمر (راشد) في تناول الترياق رغم فظاعة طعمه.. وفي الأيام الأخيرة من نهاية الشهر.. أحس ببعض الإعياء.. وكان يُغشى عليه تارة.. ويتقيأ ما يأكله تارة أخرى.. حتى جاء اليوم الأخير.. وبعد تناول الترياق.. أحس بدوار في مقدمة رأسه.. حاول أن يستند على الحدار ولكنه فوجئ بما رآه أمامه.. سقط من هول الصدمة.. وبقي على هذا الحال حتى انتصف الليل.. لم تكن (مريم) في المنزل ذلك اليوم.. فقد كانت تأخذ العجين إلى قرية بعيدة من أجل لقمة العيش.. ولما قدمت إلى المنزل.. رأت أخاها ممدداً على الأرض.. لا يقدر على الحركة.. وكأنما صُفِد من قفاه.. أسرعت (مريم) لتهز جسد أخيها.. ولكن ما إن أفاق حتى جن جنونه.. وراح يضرب رأسه في كل زاوية من زوايا المنزل حتى أدمى هامته.. ولم ينته هذا المشهد إلا بسقوط (مريم) بضربة على رأسها أردتها قتيلة!!!

استلمتُ أوراق الحادثة بعد أن قطعت إجازتي كما رويت لكم قبل قليل.. لم أرد أن أستعجل النتيجة.. ورحت أقلب أوراقها بتمعن.. لم أجد دليلاً واحداً يفند توجيه تهمة القتل إلى (راشد).. ولكني كعادتي.. لابد أن أزور المتهم بنفسي.. رغم تحذيرات من حولي من الضباط بعدم الذهاب إلى المشفى الذي أودع فيه (راشد).. فقد كانت غرفته خالية من كل شيء حتى لا يؤذي من حوله.. كان عنيفاً بشدة.. حتى أن العاملين في المشفى لا يستطيعون إيقافه إلا بإبرة مخدرة تطلق عن بعد.. وكأنما زود بقوة خارقة.. لا يستطيع أحدٌ الوقوف أمامها.. قبل أن ألتقي (راشد).. وجهت بعض الأسئلة الروتينية حول حالته.. من أطباء.. وعاملين.. وممرضات.. تلقيت إجابات عدة.. حتى أن بعضهم ادعى قدرة (راشد) على الطيران وغيرها من الأمور الخارقة التي لا تصدق.. وعند دخولي للقائه.. كان عنده أحد الطاقم على ما

يبدو.. هكذا خلته في بداية الأمر.. كان (راشد) يصرخ عليه بشدة.. ولما رآني.. ابتسم وغادر بهوادة.. ورمقني بنظرة لم أعرف فحواها.. حاولت تهدئة (راشد).. ولكنه لم يهدأ إلا بذكر اسم شقيقته.. هدأت زوبعة غضبه وقال لي وهو يتنفس بصعوبة:

- من أنت؟!.. وكيف تعرفها؟!.. أجبني.

قلت له وأنا أجز كرسياً من الخارج مقحماً باب الغرفة بإحكام:

- أنا العقيد (ن. أ. ع).. المخول بالتحقيق في أمر قضيتك.. لا أخفيك بأنك في مأزق.. ولن نستطيع مساعدتك إلا.. إلا بإخباري عن جميع التفاصيل.

نزلت دمعة يتيمة من مقلتيه.. ثم أردف قائلاً:

- وهل ستصدقني إن أخبرتك؟!

وقالها وكأن حبال الأمل تتدلى من جديد.. آه.. نسيت أن أخبركم بأن (راشد) يبدأ بالسكون والهدوء قبيل الفجر.. ولهذا ذهبت إلى المشفى قبيل ذلك الوقت بقليل.. أجبته بحيرة:

- ولماذا لا أصدقك؟..

أخرج الهواء من أعماق رئتيه ثم قال:

- لأن قصتي لا تصدق.. سيأتي بعد صلاة الفجر.. عدني بأنك ستصدقني.. بسرعة قبل أن يأتي.. بسرعة.

قلت وأنا أخرج جهاز التسجيل الخاص بي:

- ومن هو ذا؟!.. سأصدقك هيا تحدث.

أخبرني (راشد) بكل شيء.. حتى مقتل شقيقته (مريم).. كما أخبرتكم قبل قليل.. ولكنه نفى نفياً قاطعاً بأنه قتل شقيقته.. قالها بمرارة.. حاولت أن أصدقه ولكن القانون لم يكن في صفه أبداً.. قلت له بعينين حانيتين:

- ومن قتلها إذاً؟!.. هيا أخبرني...

بكى (راشد) كالطفل الذي فقد والديه.. ثم أردف قائلاً:

maktabbah.blogspot.com

- من رأيته قبل قليل!!!

قالها ثم أغشي عليه من الإجهاد.. خرجت من المشفى وأنا أقلب الأفكار في مخيلتي يميناً وشمالاً.. عندها.. أمرت فريق التحقيق بالاتجاه نحو منزل (راشد) وإعادة تفتيشه.. ربما ستسألون عن (محسن).. لقد اختفى تماماً وكأنما هرب مع الريح.. لحقت بالفريق ورحت أبحث عن أي أمل يدلني على الشخص الذي اتهمه (راشد) بقتل أخته.. ومن يقصد بالذي رأيته قبل قليل؟!.. هل هو (محسن)؟!.. نعم.. هذا ما اعتقدته واعتقده أهل القرية كذلك.. لم يكن هو.. فقد تمكنا من تكثيف البحث وإلقاء القبض عليه في أحد البيوت المهجورة.. وعند سؤاله عن القاتل.. ضحك بصوت مستفز ثم قال:

- لقد خدعنا جميعاً.. نعم.. خدعنا.. وخدعكم أنتم أيضاً..

قلت له بغلظة:

- من؟!.. تحدث؟!.. لا وقت عندي لأضيعه معك.. هل هذا من تقصد؟!..

هز رأسه لتأكيد ذلك.. وما رأيته إلا الصورة التي التقطها (سامر) في منزل (راشد).. لقد وجدتها وفريق التحقيق في منزل المسكين (راشد).. نعم.. كان (سامر) عند (راشد) عند قدومي قبيل الفجر.. وتعرفت عليه عند عثوري على الصورة.. ولكن كنت أعجز عن السبب الذي دعا (سامر) لفعل ذلك.. سألته بشغف:

- أخبرني بما تعرفه.. هيا... أنت تفقدني أعصابي يا (محسن).

تنحنح.. ثم قال:

- لقد كان أهل هذه القرية تحت سيطرتي قبل قدوم سيئ الذكر (راشد).. فقد كنت ساحر القرية الذي يلجؤون إليه في أمورهم كلها.. ولكن.. عندما قدم (راشد) أصبح هو رجل القرية الأول.. فعمدتُ إلى التقرب منه.. حتى لا أخسر كل شيء.. فالساحر في دينكم كافر يجب قتله.. تمكنتُ من تمثيل دور الصديق المقرب لـ (راشد).. ولأتخلص منه استعنت بالشياطين الذين أتعامل معهم كل يوم.. فاقترح علي أحدهم استغلال الخطأ الفادح الذي وقع فيه (راشد) وأخته.. فتغيير اتجاه القبلة أثناء الصلاة عمداً يورث قدوم الشياطين وحضورهم.. وهذا ما أوقع (راشد) في الفخ.. فـ(سامر) كان شيطاناً مسخراً لمس (راشد).. ولما يئس من السيطرة على (راشد).. استطعنا إيقاعه في فخ آخر وهو الترياق.. فما كان ذلك الترياق إلا سبباً في تمكن (سامر) من السيطرة على (راشد).. فما إن يمسه حتى يستطيع تغييب

maktabah.blogspot.com

جميع حواسه.. ويتحكم بجميع أفعاله.. وهو من قام بقتل (مريم).. بإيعاز مني بالطبع!!

- يا لكم من أوغاد.. وكيف لنا أن نثبت ذلك الآن؟!.. فالطبيب الخاص بـ (راشد) أكّد سلامة عقل (راشد) من أي مرض!!!.. قلتها بحنق.

أمرت بحبس (محسن) بتهمة الاشتراك في الجريمة.. ولكنه نفذ من حكم الإعدام.. وغداً سينفذ الحكم على الضحية والقاتل معاً (راشد).. سيعلق على حبل المشنقة لذنب اقترفه بيده وأنكره عقله!

شهق جميع من في القاعة.. حتى أنا.. لم أصدق ما حدث وها نحن الآن نتوقف لاستراحة قصيرة.. نستطيع من خلالها أن نستوعب ما سمعناه للتو!!!

مكتبة بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

*****

KGB

اسمي (ن. ب. س).. عقيد متقاعد في أحد الأقسام السرية في الاستخبارات العامة.. سأفجر اليوم مفاجأة لم تسمعوا بها أبداً.. رغم أن أحداث قصتي حدثت في نهاية سبعينيات القرن الماضي.. ولم يعلم بها أحد سوى القلة ممن كانوا في فريقي.. بحكم فداحة ما حصل!!

في تمام الرابعة فجراً من يوم السبت.. وردني اتصال يفيد بأن هناك شبهة جنائية لمقتل شخص قد أتم العقد الثالث من عمره.. عند وصولنا إلى المكان المنشود.. كانت الجهات الأمنية تتواجد بكثافة.. أتذكر رائحة الخبز التي كانت تصدر من المخبز المجاور لمكان الحادثة.. كان (أيمن) ممدداً على وجهه والدماء تسيل من جبينه بغزارة.. وكأن أحدهم قد ألقى به من شرفة شقته التي تقبع في الطابق الثالث.. في عمارة بالية كان سكانها من الطبقة المتوسطة على ما يبدو.. كانت الملابس معلقة على حبال برتقالية مشدودة في منظر يحاكي مدرجاً لجماهير أحد أندية كرة القدم.. أما الشروخ فكانت تمتد بين الشرفات وكأنها أنهار جفت مياهها.. كنا بين خيارين اثنين لا ثالث لهما.. إما أن (أيمن) مات منتحراً أو أن أحدا دفعه لمآرب لم نكن نعرفها بعد.. أصدرت الأمر للتحقيق مع زوجته وأبنائه ولكنهم نقلوا جميعاً إلى المستشفى لنوبة هلع أصابتهم جميعاً.. أما أثاث الشقة فكان مبعثراً هنا وهناك.. وقد سمع الجيران صوت جلبة وفوضى قبيل مقتل أو انتحار (أيمن) بدقائق.. لم تكن الصورة واضحة لي ولفريق التحقيق.. بل زادني ما رأيته حيرة

على حيرتي.. أثاث مبعثر.. جثة ملقاة.. أسرة تنقل إلى المشفى بعد نوبة هلع وعنف شديدة.. استمر البحث والتحقيق لأسبوع كامل.. فتشنا فيها عن كل ما يثير الشبهات حول مقتل (أيمن).. ووجدنا خيطاً قد يقودنا إلى من قتله أو تسبب في انتحاره.. فقد سجلت قضايا عنف ضد (أيمن) من قبل زوجته في عدة مناسبات.. وقد استنتجنا أنه كان ذا شخصية غير متزنة بعض الشيء.. ولكن الأمور ازدادت تعقيداً ما إن علمنا أن شخصاً آخر كان قد قُتل بعد مقتل (أيمن) بأسبوع.. ولكن.. كان الموقع مختلفاً بعض الشيء.. فقد وجدنا الجثة في أحد البنوك وكانت تعود لشخص في العقد الثاني من العمر.. يعمل في القطاع العسكري.. كان منظر الدم والجثة يذكرني بجثة (أيمن) بشكل أو بآخر.. ربما كنت أتوهم.. ولكن التحقيق في مقتل رجلين لا يفصل بين مقتلهما سوى أسبوع واحد لأمر مرهق بالفعل.. والأكثر غرابة أن الرجلين قُتلا أو انتحرا في الوقت نفسه تقريباً.. تمام الرابعة فجراً.

في يوم ما.. كنت أجلس في مكتبي بين أوراقي المبعثرة.. كان مكتبي يعج بالملفات وصور المجرمين المعلقة في لوح أبيض يكاد بياضه أن يختفي من كثرة الصور المعلقة عليه.. ولا يزين ذلك المكتب سوى نبتة أخرجت رأسها بين الأوراق المتكدسة وكأنها تتنفس الصعداء.. وفي أثناء انهماكي في القضيتين المعقدتين.. وردني اتصال من المشفى يفيدني بأن حالة زوجة (أيمن) الضحية الأولى.. قد استقرت وأصبحت قادرة على إجابة أسئلتي الكثيرة على ما يبدو.. لم أفوت تلك الفرصة.. فتوجهت مسرعاً إلى المشفى مستقلاً سيارتي التي بدأ الصدأ يتغلغل بين ثنايا سطحها.. وما إن وصلت إلى المشفى حتى استقبلني الطبيب المسؤول عن حالة (جنى) زوجة (أيمن).. قال الطبيب وهو يلهث من شدة بدانته:

- مرحباً بك يا سيدي.. شكراً لحضورك.. فقد أصبحت (جنى) في حالة جيدة.. وقد اتصلت بك فور تحسن حالتها كما طلبت.

- شكراً لك.. أريد أن تدلني على غرفتها.. فعندي بعض الأسئلة التي يجب أن تجيب عليها لتكشف ما حدث لزوجها (أيمن) رحمه الله!

كانت غرفة (جنى) هادئة جداً.. وكان البياض طاغياً على كل شيء.. السرير.. طلاء الغرفة.. الأجهزة.. وحتى الملاءة التي ترتديها الممرضات.. كان كل شيء يشير إلى النقاء خلا نظرات (جنى) التي كانت مضطربة كجهاز تخطيط القلب الذي يجاور سريرها.. ابتسمت بتوجس وقلت وأنا أهمّ بالجلوس:

- أعظم الله لك الأجر يا (جنى).. في الحقيقة.. أتأسف على مجيئي في هذا

الوقت.. ولكن التحقيقات متوقفة على ما سيسرد في إفادتك وأرجو أن تكوني مطمئنة بأننا لا نتهمك بشيء حتى الآن..

مكتبة
بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

سكتُ قليلاً ثم أردفتُ قائلاً:

- والآن يا (جنى).. حدثيني بالتفصيل عمّا جرى في ذلك اليوم؟!

ازدردت لعابها وتنحنحت بصوت متحشرج وقالت:

- أعلم أنني في قائمة المتهمين بقتل زوجي (أيمن) يا حضرة المحقق.. وذلك بسبب القضايا والخلافات العديدة التي نشبت بيننا.. ولكن صدقني لا أعلم سبب ما حدث ذلك المساء.. كان (أيمن) في طريقه إلى عمله ولكنه نسي شيئاً ما في المنزل مما اضطره إلى العودة مرة أخرى.. ولما عاد بدا عليه أثر التعب فجلس ليأخذ قسطاً من الراحة.. وفجأة ودون إنذار.. انفجر غاضباً وقام بتهشيم الزجاج والأثاث ثم رمى بنفسه من النافذة.. وبعد هنيهة انتقلت نوبة الغضب لي ولأطفالي.. وكدنا أن نُقدم على ما أقدم عليه (أيمن).. لولا تدخل الجيران ثم قوات الأمن في وقت لاحق!!

أعلم أن ما سردته لا يمتُّ للمنطق بصلة.. ولكن.. هذا ما حدث بالضبط !!.. صدقني!

مططت شفتي تعبيراً عن عدم تصديقي ثم أردفت قائلاً:

- لستُ هنا لأدينك يا (جنى).. ولكن.. هل لاحظت أي شيء يثير الشك حول (أيمن) ذلك اليوم أو الأيام التي تسبق وفاته؟!..

لم ألاحظ أي شيء يثير الشك يا حضرة المحقق.. وهذا كل ما أعرفه.

هممت بالانصراف رغم نظرات (جنى) المتوسلة التي كادت أن تجر أذيال ثيابي وتثبتني على ذلك الكرسي المهترئ الذي يقبع بالقرب منها.. لا أخفيكم بأنها لم تساعد في حل تلك القضية بل زادتني حيرة على حيرتي.. ورجعت إلى مكتبي بخفي حنين.. في الطريق.. كنت أفكر في قضية القتل الأخرى التي حدثت بعد وقت قصير من مقتل (أيمن).. نعم.. مقتل (سعد).. في أحد المقار الرئيسة لبنك (س. م).. فقد بلغني بأن الشهود أكدوا بأن (سعد) مر بنوبة غضب شديدة قبل أن يسقط على الأرض ويدمي جبينه.. حاولت أن أعرف السبب في نوبة الغضب التي انتابت (أيمن) و(سعد) قبيل مقتلهما ولكني كنت مشوشاً لا أستطيع ترتيب أفكاري.. أما (جنى).. فلم أشأ أن أرهقها بالأسئلة.. ولكنني لم أكتف بأجوبتها المبتورة.. أعتقد بأنها تخفي شيئاً.. نعم.. أنا متأكد من ذلك!!.. ولاسيما أن الممرضة ذكرتها بإبرة

السكر.. رغم أننا تحققنا من سجلها الطبي وأنها سليمة معافاة!!.

في اليوم التالي.. تلقيت تقريراً مفصلاً من الطب الشرعي.. وهنا بدأت القصة!!.. لقد اكتشفنا أن هناك تغيراً في تركيب الدم الذي يخص القتيلين.. عندها.. بدأت بترتيب أفكاري.. قبل أن يستمر السفاح بقتل شخص آخر.. يبدو أننا بصدد الإمساك بقاتل تسلسلي.. ولكن.. قبل أن نمسك به.. لابد من معرفة الدافع.. فتشت هنا وهناك.. استجوبت جميع معارف الضحايا.. حتى توصلت لخيط رفيع قد يوصلني إلى ذلك المجرم.. (جنى).. نعم.. فقد اكتشفنا بعد طلب كشف مكالماتها بأنها تتصل برقم ما بشكل متكرر.. أما الخيط الآخر فكان يتعلق بأمر الإبرة.. نعم.. لم تكن إبرة سكر.. بعد أن تعرفت على هوية من تتصل به (جنى).. توجهت مباشرة إلى مدينة صناعية.. أرشدنا رقم الهاتف إلى مستودع كبير.. كان هذا المستودع مصنوعاً من الحديد المصفح على طريقة البيوت الزراعية.. وكانت الأرفف تحيط به من الداخل من جميع الجهات.. أما رائحة المعقمات فكانت جلية في ذلك المكان.. وقطرات المياه تتساقط بشكل بطيء من سقف المستودع.. يبدو أن هناك من أراد أن يخفي شيئاً ما.. ما هو ذلك الشيء لم نكن نعلم!!..

في المساء.. أمرت بإعادة التحقيق مع (جنى).. لعلها تعترف بشيء ما.. ولكنها كانت عنيدة.. كبعض السفهاء في أزمة الأوبئة .. ولكنها انهارت واعترفت قائلة:

- سأخبركم بكل شيء.. أقسم بمن رفع السماء أنني سأقول كل ما أعرفه يا حضرة المحقق.. قبل عدة أيام من مقتل زوجي (أيمن).. وردتني مكالمة من صديقه (سامي).. باحث كيميائي وطبيب يعمل في عيادته الخاصة.. بمنطقة (ر. أ).. مفادها أنه سيترك لي صندوقاً يحتوي على إبر يجب أن أستخدمها يوم السبت.. فجراً.. وهو اليوم الذي قتل فيه (أيمن).. وأنهى مكالمته بـ" استخدمي الصندوق عند الغضب"!!.. وهذا كل ما أعرفه.. صدقني.. وقد أخفيت الأمر حتى لا يكون دليلاً إضافياً على إدانتي!!.

- عذراً على السؤال.. وهل تربطك أي علاقة مع الدكتور (سامي)؟!

قلت وقد خالجني بعض الخجل.

اتسعت عيناها وقالت وهي تعض على أضراسها:

- ماذا..... لا أعرف سوى اسمه وأنه صديق مقرب لـ(أيمن).. لن أسمح لك بتلويث سمعتي مهما كلفني ذلك الأمر!..

هززت رأسي ولم أنبس ببنت شفة.. وأمرت بالزج بها في السجن على ذمة التحقيق.. لعلها تتذكر شيئاً تناسته كما في المرة السابقة.. نفضت بعض ملفاتي.. وصفعت بالأخرى.. ثم ضربت الطاولة بعنف شديد.. حتى اهتزت القهوة كأمواج البحر الهائجة.. ارتشفت بعضاً منها.. وبعد سويعات.. جاءني الخبر الذي خنق أنفاسي.. وجثا على صدري وكأن أحدهم يجلس علي وأنا مكبّل اليدين.. نعم.. عيادة (سامي) مقفلة.. وكأن أحداً لم يكن هناك.. رحت أفكر ملياً.. حتى واتتني فكرة علّها تغير مجرى القضية.. فكل ما يهمني الآن هو إيقاف مقتل ضحية جديدة.. رحت أبحث في سجلات (سامي).. كل شيء يدل على نزاهته.. لا شيء يدعو للشك.. سوى أمر واحد.. فـ(سامي) هو صديق مشترك لـ(أيمن) و(سعد)!!

اختفى (سامي) وكأنه رفع إلى السماء.. وهذا ما يطمئنني بعض الشيء.. ويقلقني في الوقت نفسه.. فاختفاؤه لا يعني أنه سيكون أكثر حذراً.. وهذا ما سيؤخر مقتل الضحية القادمة!..

رغم ما ذكرته الآن.. فالقضية لا تزال في أولها.. أما الطامة التي نزلت كصاعقة من السماء.. فكان تقريراً جديداً للطب الشرعي.. يفيد بأنه قد تم تغيير التركيب الجيني للضحيتين.. فقد ضاعف (سامي) إنتاج جين القتال .

يبدو أن (سامي) لا يعمل وحده.. فالتغيير الجيني للإنسان عملية معقدة للغاية.. ولابد من وجود فريق كامل يعمل لأجل هدف ما.. ربما ستتساءلون عن عدم تحدثي عن (سعد) أو عن أهله أو أحد من أقربائه.. (سعد) مقطوع من شجرة كما يقولون.. فـ(سامي) يجيد اختيار ضحيته جيداً.. حتى إن (سعد) لم ينقل عدوى الغضب لمن تواجدوا معه في المصرف المركزي على العكس من (أيمن).. فهل تعمد القاتل احتواء جين الغضب في حالة (سعد)؟!.. ربما!!

اتسعت دائرة البحث لتشمل جميع المناطق والمحافظات.. ولم تنجح أي وسيلة في التوصل إلى (سامي).. إلا أنه ارتكب خطأ فادحاً قبيل قيامه بتنفيذ جريمته الثالثة وهي الجريمة الكبرى.. إذ قام باتصال استطعنا من خلاله أن نتعقبه ونقبض عليه.. أرجو منكم الهدوء لتستمعوا إلى تسجيل صوتي لـ(سامي) وهو يسرد خطته الدنيئة:

- حسنٌ أيها المحقق الحاذق.. نعم أنا (سامي) كما تدعون.. فهذا ليس اسمي الحقيقي.. أعمل لدى الاستخبارات السوفييتية.. قدمت إلى البلاد منذ عشرين عاماً.. وتعرفت على المجتمع.. عاداته.. تقاليده.. واستطعت الاندماج معهم.. ربما لأن شكلي

يميل إلى الهيئة العربية بعض الشيء.. قدمت بشهادات معتمدة زورتها الاستخبارات السوفييتية.. استطعتُ من خلالها افتتاح عيادتي في حيّ صغير يخلو من السكان.. وكنت أمارس أبحاثي في علم الجينات.. في مستودع في إحدى المدن الصناعية.. نعم.. ذلك المكان الذي محوت جميع آثار جريمتي منه قبل مغادرته.. أعتقد بأنك تعي ما أقصد.. استخدمت (أيمن) و (سعداً) كفأري تجارب لعملية كبرى كانت تستهدف الحرم المكي.. فعملت جاهداً على اختيار ضحيتي.. وتعمدت وجود خلافات أسرية في حياة أحدهما.. وانعدام الأسرة لدى الآخر.. كنت صديقاً مقرباً لهما.. حتى جعلتهما يثقان بي تمام الثقة.. فقد اخترتهما من بين جميع المرضى.. الذين يزورون عيادتي.. حتى عرفت كل شيء عن تفاصيل حياتهما.. حقنت الأول بمصل يضاعف جينات الغضب.. وقد عمدت أن يكون هذا الجين معدياً.. وقد انتقلت العدوى إلى زوجته وأبنائه.. إلا أنني تركت صندوقاً يحتوي على إبرة تستطيع (جنى) من خلالها أن تثبط ذلك الجين.. أما (سعد) فلم يكن جين الغضب لديه معدياً.. وكان هذا من باب التجربة ليس إلا.. أما الضحية الثالثة.. فهي أمامك الآن.. فقد كنت سأحقن نفسي بالمصل نفسه الذي حقنت به (أيمن).. و أتوجه للحرم المكي لأنشر الذعر هناك.. ثم ستصل طائرة بعد نصف ساعة محملة بأفراد من الاستخبارات السوفييتية للسيطرة على الحرم.. ولكنهم علموا بما حصل لي.. وتبرؤوا مني.. آآه.. أمر أخير يا حضرة المحقق.. هل تعلم بأن اسمي الحقيقي هو (جهيمان)؟!.. وأن الساعة الرابعة فجراً تعني لي الكثير...

اتسعت أعين الحضور وعقب العقيد متهكماً:

لا.. لا.. ليس بذلك الشخص الذي خطر ببالكم.. امم.. ربما؟!.. لست أعلم.. سأترككم في حيرتكم.. فلا أستطيع البوح بأكثر من ذلك.. فهل هو ذلك الشخص يا ترى أم أنه تشابه أسماء ليس إلا؟!

أثار العقيد جلبة في القاعة بين مصدق ومكذبٍ.. لا أدري أهو (جهيمان) الذي يعرفه الجميع أم لا.. سأترك لكم الحكم.. فما رأيكم يا ترى؟!

*****

مكتبة
بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

شهيق.. زفير!!

أنا بريء.. نعتٌ ينسبه الناس لأنفسهم جميعاً.. عجبي.. أين ولّى الظالمون إذاً؟!.. أتاهوا مع قوم موسى؟!.. أم ابتلعهم حوت يونس؟!.. أم خُسفوا مع قارون

وجنوده؟!.. كانت تلك هي الكلمات الأولى التي نطقت بها (رشا) عند استجوابها في أحد أكثر القضايا تعقيداً.. قالت وهي تذرف الدموع من مقلتيها:

- صدقني يا حضرة المحقق.. هذا ما حدث.. كانت ليلةً مظلمة بل حالكة الظلام.. وكنت قد اتفقت مع صديقتي (هدى) للذهاب إلى أحد (الشاليهات) لقضاء وقت ممتع حيث البحر والرمال الناعمة.. المرعب في الأمر أنني كذبت على والديّ.. واتفقت مع خالتي للتستر عليّ.. فمع الأسف.. نزهة الفتاة عند بعضهم أمر محرم حتى مع صديقاتها.. كانت السيارة تبتعد عن المدينة شيئاً فشيئاً.. فكان لا يُرى سوى أنوار خافتة تنبثق من بيوتاتها.. كان قلبي يدق كالطبول.. ولعابي قد نفد من كثرة ابتلاع ريقي.. وصلنا إلى ذلك المكان الموحش.. وكان معنا (وليد).. قريب (هدى).. امتعضت في بداية الأمر لوجوده.. فماذا سيفعل طفلٌ مع فتاتين تريدان أن تستمتعا بوقتهما في شاليه ناء ؟!.. عاتبت (هدى) على اصطحابها لهذا الطفل ولكنها لم تنتهر بل ضحكت بصوتٍ عالٍ كعادتها وقالت جملتها المعهودة:

- شهيق.. زفير.. أرأيت؟!.. الحياة بسيطة جداً!

لم أنبس ببنت شفة.. لأنني أعرف أنني الخاسرة في أي مراء أخوضه معها.. فهي فتاة متفائلة على الدوام.. وصلنا إلى (الشاليه) الذي بدا وكأنه بيت للأشباح.. ترددت في النزول ولكنّ (هدى) لم تترك لي أي فرصة للتفكير.. جرّتني كما تُجرّ الشاة إلى منيتها.. ولم تتوقف حتى صرت في وسط غرفة المعيشة.. رغم بشاعة التصميم الخارجي للشاليه.. إلا أنه تحفةٌ فنيةٌ من الداخل.. على العكس من بعض الناس تماماً.. فتراهم بحلية أنيقة ومظهر مبهج.. وما إن تقترب منه حتى تشم رائحة العفن تفوح من أدمغتهم.. المعذرة فقد عانيت الأمرّين بسبب بعض البشر.. أخذتني (هدى) بجولة سريعة في أروقة المكان والذي بدأتُ أألفه بعد فترة قصيرة من وصولنا هناك.. بدأت بتحضير الطعام بتقطيع البصل والفلفل.. ومزج البهارات الهندية مع اللحم..

- هل لكِ بمواصلة الحديث عمّا جرى هناك؟! من دون تفاصيل مملة..

قلت لها وأنا أضرب الطاولة بطرف القلم.

أكملت (رشا) بتململ جليّ:

- أعتذر يا حضرة المحقق.. ولكنني أريد أن أستحضر كل لحظة هناك حتى أخبرك بما جرى بالتفصيل..

- حسناً.. قلت بابتسامة مصطنعة.

أردفت قائلة:

- تركت التقطيع.. ورحت أحدّث (هدى) عن الدراسة وتوجهي للتخصص في الطيران المدني.. وقد استحسنت الفكرة وأيّدتني تماماً.. فقد كانت تعشق الطيران والطائرات منذ نعومة أظفارها.. كان (وليد) مشغولاً بمشاهدة بعض الأفلام الكرتونية على إحدى منصات الأفلام.. التي باتت منصة لغسل أدمغة الأطفال والمراهقين.. توجهت للمطبخ ووضعت القدر على النار.. بعد أن أبدلت ملابسي.. ذهبت و (هدى) في جولة عند شاطئ البحر وتركنا (وليد) يلعب مع أقرانه في الطرف الآخر باستخدام تقنية اللعب عن بعد.. بعد أن رفض الخروج من الشاليه رفضاً قاطعاً.. تسامرنا في الظلام الحالك.. ضحكنا.. جزعنا وتعجبنا عند تناقلنا لأخبار أقاربنا وأحوالهم.. وبعد كل قصة نختم بقول: " أستغفر الله.. لا نريد غيبة أحد".. وكانت (هدى) تردد عبارتها الخالدة: "شهيق.. زفير.. أرأيت؟!.. الحياة بسيطة جداً".. قطعنا بضعة كيلومترات ونحن نتحدث دون أن نكترث بشيء.. حتى أمضينا ثلاث ساعات ونحن لا نشعر بما حولنا.. اللعنة!!!.. القدر!!!.. (وليد)!!!.. وما إن تذكرنا حتى رجعنا أدراجنا ونحن نقدس الله ونسبحه.. فعادة.. لا يتذكر الإنسان ربه إلا إذا وقع في مصيبة!!!.. وصلنا إلى (الشاليه).. والذي لم يكن في عداد (الشاليهات).. إذ تفحم عن بكرة أبيه.. رحنا نصرخ حتى كادت أحبالنا الصوتية تتقطع.. حاولت أن أهدئ من روعي واستجمعت قواي.. وأردت أن أنقذ (وليد).. ولكن.. ولكن.. كانت النيران أسرع من خطواتي المرتبكة.. فقد التهمت كل جزء من جسم الطفل المسكين.. هدأت النيران بعد ما قدم أحدهم لمساعدتنا.

شيخ كبير في العقد الخامس من العمر.. عريض المنكبين والوجه معاً.. أشبه ما يكون بصندوق جدتي المذهب.. فقد كادت ساقاه أن تلامسا باطن الأرض من شدة قصره.. قال وهو يلهث بشدة:

- لا تخافا.. فقد خمدت النيران والجميع بالخارج.. أليس كذلك؟!..

أجبنا معاً في ارتباك:

- نعم.. نعم.. الحمد لله.

- اسمي (سمير).. أسكن في الجهة المقابلة.. وقد أفزعني منظر النيران.. وهي تلتهم المبنى بالكامل.. لحسن حظكما فإنني قررت أن أقضي عطلة نهاية الأسبوع

هنا.. فهذه المنطقة مهجورة.. كئيبة.. ولا آتي إليها إلا إذا كانت حياتي في المدينة أكثر كآبة.. سأتصل بالدفاع المدني كإجراء روتيني.. قاطعته مباشرة:

- لا.. لا.. لا داعي لذلك.. سنتولى الأمر وسنتصل بوالدي ليكمل بقية الإجراءات.. نظر إلينا في شك.. ثم تمتم بكلمات غير مفهومة.. أتبعها برفع يده إشارةً لوداعنا.. وما زالت نظراته تلتهم أعيننا ونحن نطأطئ رؤوسنا لتلافي تلك النظرات القاتلة.. قالت (هدى) وهي تتنفس بصعوبة:

- ماذا سنفعل يا (رشا)؟!.. لقد مات (وليد).. ماذا سأقول لوالديه الآن؟!.. لقد خرج معي دون أن يخبرهما ولابد أنهما يبحثان عنه الآن!!!.. أعلم بأنهما مهملان ولا يعلمان شيئاً يخص ذلك الابن.. ولكن سيكتشفون الأمر ولو بعد حين!!!

- ماذا؟!.. أجننت؟!.. كيف فعلت ذلك؟!.. يا إلهي لو علم أبي أنني هنا ولو علم والدا (وليد) بما جرى فسوف يزُجُّ بنا في السجن حتى تفيض أرواحنا من الهم والكدر..

قلتُ لها بحزم:

- وهل رأيتِ (وليد) عند محاولتك للدخول أول مرة كما تقولين؟!

ارتبكت (رشا).. وازدردت لعابها وقالت:

- لا.. لا.. لم أره.. فقد حجبت النيران الرؤية وكدت أن أختنق لو لا خروجي من المكان بسرعة..

أكملت بتردد:

- وعند دخولنا مرة أخرى.. بحثنا عنه فلم نجده.. تنفسنا الصعداء.. فلعله خرج في بداية الحريق.. خرجت و (هدى) للبحث عنه عند الشاطئ.. ولكننا لم نجده.. فخشينا أنه اختُطِف.. و.. و.. وشككنا في ذلك الرجل.. ولكننا.. لم نملك الدليل وخشينا أن نذهب إلى مسكنه فيزداد شكّه فينا!!!

قلتُ بحزم:

- ولكنكما ارتكبتما أكبر خطأ في إخفاء الحادثة.. فلماذا لم تخبرا الشرطة؟!..

- نعم هذا صحيح.. فلو عرف أبي بأننا لم أكن مع خالتي لذبحني بدل خروفه الذي أسكنه حرم المنزل.. ولقُتِلت (هدى) من قِبَلِ قريبتها.. لذلك.. قرّرنا أن ندفن هذا السر على أمل ألا يفضح ذلك الرجل أمرنا.. بقينا هكذا لعدة أشهر.. حتى تخرجنا من

المرحلة الثانوية.. ونسينا ما حدث...

- وكيف لم يُكتشف أمر الحريق؟!.. ألم يزر أحد هذا الشاليه بعد الحادثة؟!..

- الحقيقة يا حضرة المحقق إنه لأمر مخجل.. فقد كان هذا الشاليه هدية من أحد الأثرياء لـ (هدى).. وأنت تعلم كيف حدث ذلك.. ولا أريد الخوض في التفاصيل يا سيدي!!. أما (وليد) فكان من السهل أن يظن أهله أنه اختطف من أمام منزله ليس إلا.. حتى إن (هدى) كانت تبحث عنه مع والديه وكأنها لا تدري شيئاً!.. قُتل الخزاصون!

قلتُ بحماسة:

- وكيف قتلت (هدى) إذاً؟!!!

مكتبة بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

أخذت نفساً عميقاً ثم أردفت قائلة:

- لا أعلم يا سيدي.. أعرف بأنني سأتهم بقتلها لوجود دافع لذلك.. ولكنني أؤكد لك بأنني بريئة.. بريئة.. فقد كنا ندرس الطيران المدني في الجامعة نفسها.. وفي ذلك اليوم.. كنتُ و (هدى) نتدرب بطائرة (سيسنا 172).. أو ما تعرف بـ(سيسنا سكاي هوك).. وهي طائرة أحادية المحرك يا سيدي.. ففي أثناء عملية التحليق.. تعطل المحرك وتعطلت مظلة (هدى) ونجوتُ أنا بعد أن فتحت مظلتي...

- يا للصدفة!!! صرخت بصوتٍ عالٍ.

انتفضت (رشا) وقالت بصوتٍ مرتجف:

- ولكن هذا ما حدث يا سيدي.. أعلم بأنني سأتهم بقتلها لا محالة.. ولكن.. يجب أن تعرف يا سيدي بأن (هدى) هي من خططت لإخفاء ما حدث خوفاً من أن يعرف والدا (وليد) الحقيقة.. ولكن كيف عرفتم بأمر الحريق؟!

واستطردت دون أن تنتظر إجابتي:

- يبدو أنه ذلك الخرِف أليس كذلك؟!.. وما أبلغكم به أيضاً يا حضرة المحقق؟!

شردتُ قليلاً ثم قلت بحصافة:

- نعم هذا صحيح.. وسوف يكون شاهداً على ما حدث في المحكمة.. وسيزيد الأمر صعوبة يا (رشا).. فقد يُزجُّ بك في السجن بتهمة القتل.

صاحت بعد أن قامت من مقعدها:

- كما توقعت.. فقد أخبر ذلك الخرف الشرطة لكي يلصق التهمة بي وينجو هو من تهمة اختطاف وليد!

- يبدو أنك تكذبين وتحاولين تصديق كذبتك.. وكيف لك أن تعرفي بأنه هو من اختطف وليد؟!

- لا يوجد تفسير آخر يا سيدي.. اللعين.. يا له من وغد..

- ماذا لو قلت لك بأن أبا (وليد) صديقٌ مقربٌ من الدكتور (ناصر).. نعم الدكتور (ناصر) عميد كلية الطيران والذي أشرف على اختباركما حين قُتِلت (هدى)..

قالت مبتسمة:

- يبدو أن كل شيء جلي يا سيدي.. أخبر ذلك الرجل اللعين أبا (وليد) بأنه قتل في الحريق.. فقام الأب بتدبير خطة لاغتيالنا ولكنّ إرادة الله حالت دون قتلي.. الحمد لله.. الحمد لله...

- أقُتِل وليد في الحريق أم خطفه الرجل؟!.. استفهمت بصرامة.

- لا.. لا.. أعني.. أعني.. أنه اختلق تلك القصة لينجو بفعلته...

- اسمعي يا (رشا).. إن موقفك ضعيف جداً أمام المحكمة.. فلو شهد ذلك الرجل بمقتل (وليد) بالحريق.. فسيلف حبل المشنقة حول رقبتك لا محالة.. يبدو أنه سمع حديثك مع (هدى) بعد أن خُيل إليكما أنه رحل.. وأخفى نفسه في مكان ما بالقرب منكم.. فالظلام الحالك قد حال دون رؤيته.. وقد يمتلك دليلاً مادياً على ذلك أيضاً.. كتسجيل صوتي!.. عندها سيكون إنكارك مع وجود دليل دافعاً قوياً لمقتل (هدى) بلا شك.. وأنت المتهمة الوحيدة..

- وماذا عن الأب؟!.. وعلاقته بالدكتور (ناصر)؟!.. أليس هذا دليلاً كافياً لإدانته لوجود دافع انتقام جلي كالشمس في كبد السماء!

- لقد اختلقت ذلك لاستدراجك يا (رشا).. فلا علاقة تربط الأب بالدكتور (ناصر) أما الآن.. أين يمكن أن نجد (وليد).. أخبريني حتى لا يُلف حبل المشنقة حول رقبتك.. فسيشهد الرجل بأن (وليد) قتل في الحريق وسيحكم القاضي فوراً بإعدامك نظراً للدافع الذي سيكون ضدك في المحكمة لقتل صديقتك هدى حتى لا

مكتبة
بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

يفتضح تورطك معها أثناء الحادثة مع احتمال وجود دليل مادي:

اغرورقت عيناها بالدموع ثم قالت:

- أعترف بدهائك يا سيدي.. فقد استدرجتني للاعتراف بالحقيقة.. نعم.. فقد مات (وليد) بالحريق فعلاً.. وذلك بسبب إهمالنا.. فعند دخولي إلى الشاليه حاولت إنقاذه.. ولكنني لم أستطع فقامت (هدى) بالتخطيط لدفنه خلف الشاليه بعد أن تحول جسمه إلى رمادٍ تام ولن يستطيع أحد أن يعرف ما إذا كان ذلك جسد إنسان أم بقايا فحم!!.. معذرة على هذا التشبيه.. ولكن هذا ما حدث.. وقد أفسد ذلك اللعين مخططنا وأفشى سرّنا بعد أن تنصت علينا.. ولكني أقسم بأنني لم أقتل (هدى).. صدقني..

قلت برباطة جأش:

- غير صحيح يا (رشا).. اعتقد بأنك تراوغين مرة أخرى.. فقد سمع ذلك الرجل صراخ (وليد) وهو يتوسل إليك بإنقاذه.. يبدو.. يبدو أنها جريمة مفتعلة!!!

انتفضت وقالت:

- حسناً يبدو.. أنني لن أنجو لا محالة.. نعم.. فقد أردت أن أجعل تلك اللعينة (هدى) تعضُّ أصابعها ندماً.. سارقة.. سارقة.. فقد سرقت مني ذلك الثري.. وأغوته وأعطاها كل شيء.. فيلا.. شاليه.. سيارة.. فأردت أن أنتقم منها وعمدت لترك ذلك الطفل داخل المنزل أثناء الحريق ولم أحاول إنقاذه فالفرص تمر مر السحاب.. كما أنني خططت لمقتل تلك الأفعى بعد ذلك.. ولو لم يكن ذلك اللعين هناك لما انكشف سري.. يا له من وغد...

ضحكت وقلت لها بنصف ابتسامة:

- جنت على نفسها براقش.. كان ذلك الشاهد من وحي خيالي يا سيدتي.. فلم يأتِ ذلك الرجل للإدلاء بشهادته أبداً.. ولكنه نطق بلسانك يا (رشا).. شككت بارتباطك باختفاء (وليد).. وحاولت ربط حادثة الطيران باختفائه.. ولكنني لم أكن أمتلك جميع الخيوط التي ستؤدي لإدانتك.. فكل شيء كان يوحي بأن ما جرى هو مجرد حادث ليس إلا.. فواصلت البحث حتى وجدت ذلك الشاليه.. وهو ما قادني لربط تلك الجرائم بعضها ببعض.. جريمةٌ نفّذها مجرم واكتشفها شاهدٌ لا وجود له!!! وكما قالت (هدى):

مكتبة
بيت الحمريات
maktabbah.blogspot.com

"شهيق.. زفير.. أرأيت.. الحياة بسيطة جداً"!!!

*****

الروليت

أهلاً بكم جميعاً في هذا الملتقى المثمر.. سأعزف بنفسي كالبقية.. ولكن.. لن أعرفكم بسمي كما جرت العادة هنا.. بل سأخبركم باللقب الذي أطلقه علي زملائي في فريق التحقيق الجنائي.. ألقب بـ (شطيرة) أو (مستر شطيرة).. وذلك لأن يدي لا تخلو من شطيرة تسليني لحل القضايا.. لاسيما المعقد منها.. سأطلعكم اليوم على قضية لا تقل غرابة عما سمعته من قامات كزست وقتها وحياتها لأجل إحلال الأمن في بلدانها.. كنت أتناول شطيرتي المفضلة.. شطيرة الزعتر.. بنهم شديد وهيام جامح.. وبينما أنا أتغزل بمحبوبتي.. دخل علي مساعدي وهو يلهث ويتكلم بسرعة بكلمات تشبه إلى حدٍ ما الكلمات المتقاطعة:

- مقبرة.. مقبرة.. أطفال..

حاولت أن أسكن من روعه ووضعت الشطيرة على المكتب مجبراً:

- اهدأ يا (جمال).. ما الذي حل بك؟!

قال وهو يحاول أن يلملم شتات كلماته:

- سيدي.. لقد اكتشفنا مقبرة جماعية للأطفال.. ثلاثة أطفال بلا أطراف.. لقد وجدناهم في منطقة المخيمات.

هززت رأسي.. ورحت أكمل أكل محبوبتي.. سألته وقد تناثر فتات الزعتر على وجهه:

- هل وصلت الفرق المعنية إلى ذلك المكان؟!

- نعم سيدي وهم بانتظارك.

توجهنا على وجه السرعة إلى تلك المنطقة.. على وجه الدقة المكان يبعد بضع فراسخ من منطقة المخيمات.. أرض صحراوية تتوهج بحرارة الصيف الملتهبة.. إذ كادت أرواحنا أن تخرج مع قطيرات العرق التي تتأرجح على جباهنا.. كنت ألهث بشدة وأنا أحاول الوصول إلى حيث دفن الأطفال.. كان المنظر يندى له الجبين.. وتزلزل منه نبضات القلوب التي بلغت الحناجر من هول وفظاعة الجريمة.. كانت

بقايا الأطفال متناثرة على الأرض.. وأعني من كلمة بقايا بأنه لم يبق من أجسادهم سوى عظام نخرة غير مكتملة.. مما يعني أن الجريمة حدثت منذ أعوام عدة.. ولم يكتشفها سوى (عثمان) الذي كان يرعى الأغنام في تلك المنطقة النائية.. بدا (عثمان) مرتبكاً وكأنه يلعن اللحظة التي دلّته فيها أغنامه إلى ذلك المكان.. سألته وقد كاد أن يغيب عن وعيه:

- أخبرني.. ما الذي أتى بك إلى هنا.. و لِمَ ترعَ أغنامك في هذا المكان على وجه الخصوص؟!

ازدرد لعابه بصعوبة وقال:

- لعلّ حظّي التعيس هو الذي قادني إلى هذا المكان.. هذه أول مرة آتي إلى هنا.. فأنا كما تعلم أسكن الصحراء.. ولا أثبت في مكان واحد.. وهذا ما قادني له قضاء الله وقدره!

- امم.. جوابٌ ملتوٍ بعض الشيء.. هل سمعت بأن المجرم يحوم حول مكان جريمته؟!.. قلت باستنكار!

- لا أعلم ما أقول يا حضرة المحقق.. ولكنك تحاول عبثاً أن تتهمني بجرم لم أرتكبه.. هل تملك دليلاً واحداً لإدانتي؟!

لم أجبه بل اكتفيت بالأمر للقبض عليه وعلى خرافه.. هل تظنون بأنني أمزح!.. لا فقد أراد ذلك اللعين أن ينجو من تهمة القتل وتهريب المخدرات.. إذ صادف وجوده قدوم قوات الأمن على غزة.. وبعد التحقيقات معه اكتشفنا بأنه هو القاتل!!

لم يكن (عثمان) قاتلاً للأطفال بالطبع وإلا.. فستكون تلك الجريمة تافهة لا تذكر.. قدم (عثمان) إلى ذلك المكان ليهرّب كمية كبيرة من المخدرات.. ووجد معاذاً ينتظر في المكان ذاته.. ولكي يتمم جريمته قتل (معاذاً)شرّ قتلة.. ودفنه بعيداً لكي لا يُفضح أمره.. وبقي قريباً من المقبرة الجماعية غير واعٍ بوجودها بل منتظراً من سيأتي ليأخذ المخدرات منه.. وكان (معاذ) للأسف الشديد هو من أبلغ عن وجود تلك الجثث قبل مقتله بقليل.. وقد وجدنا سلاح الجريمة مدفوناً بالقرب من جثته رحمه الله!.. اعترف (عثمان) بعد سلسلة من التحقيقات.. ولكنه حلف بأيمان الأديان جميعها بأنه لا علاقة له بمقتل الأطفال الثلاثة!.. يبدو ذلك منطقياً إلى حد ما وذلك لأن تلك الجريمة حدثت منذ أعوام عدة كما هو جلي من تحلل الجثث!

(DNA)بعد أسابيع عدة استطعنا التعرف على الأطفال الثلاثة من خلال تحليل..

وقد تطابقت مع أطفال خُطفوا قبل بضعة عشر عاماً.. أخطرنا أهالي الضحايا وكانوا قد ا خُطفوا من مناطق مختلفة.. ولكنهم يشتركون في شيء واحد فقط وهو مرض السكري وهو ما أدلى به أهاليهم عند سؤالنا عن أطرافهم المبتورة.. الغريب في الأمر أنهم أجمعوا على أن أبناءهم قد خضعوا لعملية بتر للأطراف بسبب ذلك المرض.. ولكننا فتشنا هنا وهناك ولم نجد أي شيء يذكر عن هؤلاء الأطفال.. إذ كانت المستشفيات التي تعالجوا بها تخلو من سجلاتهم الطبية ولم يستطع أي من الطاقم الطبي تذكر شيء عنهم.. لكثرة المرضى وتفاوت الأعوام.. استمر البحث في القضية لشهر آخر!!.. أما الأمر المستجد فهو قدوم امرأة في العقد الرابع من عمرها لتدلي بشهادة قلبت معطيات القضية رأساً على عقب بعد أن انتشر خبر اكتشاف الجثث بين وكالات الأنباء.. عملت (سعاد) في المجال الصحي لأعوام عدة.. وقد عملت كممرضة مساعدة لأحد أشهر الأطباء في المنطقة.. قالت بعد أن أدخلت مقدمة شعرها في الحجاب:

- ترددت كثيراً قبل مجيئي إلى هنا يا حضرة المحقق.. فلقد سمعت عن هذه القضية في شبكات التواصل الاجتماعي من قِبَل صحفي أمني يهتم بالقضايا الغريبة التي تحدث في المجتمعات العربية.. وأود أن أدلي بما أعرف.. فأنا أعمل لدى الدكتور (رامز).. والمعروف لا يُعرَّف.. وأتذكر أنه قام بعلاج هؤلاء الأطفال.. فالدكتور (رامز) طبيب يتنقل بين المستشفيات لفترة أسبوع أو أكثر لما يملكه من مهارات عديدة في طب الجراحة التي يفتقدها الكثير من الأطباء في ذلك الوقت...

أخذت نفساً عميقاً ثم أردفت قائلة:

- لقد تمكّن هذا المرض من أولئك الأطفال بسبب إهمال أهاليهم.. فاضطر هذا الطبيب إلى بتر الأطراف.. ولكنهم خرجوا بعد خضوعهم للعمليات.. ثم خُطِفوا بعدها بسنوات كما نُشِر عن تاريخ اختطافهم!!.. كما قلت لك يا سيدي.. إهمال!!

- وهل لك تفسير لخلو المستشفيات من سجلات تدل على أنهم تعالجوا لدى (رامز)؟!

بدا عليها الهدوء فقالت:

- لا أعلم.. فكما تعرف بعض المستشفيات لا تأبه بالسجلات القديمة للمرضى وخاصة وأن جميع السجلات كانت تكتب باليد وهي عرضة للضياع يا سيدي !

- حسنٌ.. أتعلمين أين نجد (رامز)؟!.. أريد معرفة جميع عناوينه حتى نتفادى

البحث في السجلات القديمة.. قلت لها بحصافة.

- لا أظنُّ أنك ستجده يا حضرة المحقق.. فقد توفي (رامز) العام الفائت.. قالت (سعاد) في حزن مصطنع.

أمرتها بالانصراف وأنا أقلّب الأمر يمنة وشمالاً.. هل هو (رامز) يا ترى؟!.. إن كان هو.. فمن الصعب تحقيق العدالة فقد مات دون أن يتألم.. كما تألم هؤلاء الأطفال المساكين!

في اليوم التالي.. أمرتُ بالبحث عن كل عمليات الدكتور (رامز).. فكانت جميعها موثقة ولا غبار عليها بل أجريت بعد موافقة أولياء أمور المرضى.. تأكدنا من ذلك بعد أن أجرينا بعض التحقيقات معهم أو مع ذويهم.. إلا أننا لم نجد أسماء الضحايا ضمن قائمة المرضى للدكتور (رامز).. وفشلنا في الوصول إلى أقربائه أو زوجته..

استسلمتُ لشطائر التفاح التي أمامي.. وتيقنت بأن هذه القضية ستطوى وكأن (رامز) هو من قتلهم فحسب.. تتبعنا مكالمات الممرضة (سعاد).. لم يكن هناك ما يدعو إلى الشك.. ولم نعرف المزيد سوى أنها مهووسة باللوحات الفنية.. لم يضف ذلك لي أي شيء ولكنني أمرت فريقي بالاستمرار بمراقبتها لعلها تدلنا على ما يساعدنا في تفكيك عقد تلك القضية..

بينما كنت أتناول وجبتي الخامسة في يوم اعتيادي كما بدا لي.. جاءني مساعدي بظرف حصل عليه عند مراقبته لمنزل (سعاد).. إذ كان ذلك الظرف ضمن مجموعة ظروف تستعد (سعاد) لتوزيعها على أصدقائها على ما يبدو.. فتحتُ الظرف ولم أتعجب مطلقاً.. إذ كانت دعوة إلى أحد مزادات اللوحات والمنحوتات الفنية الذي يُقام كل عام.. ما أثار حفيظتي كانت الجملة المذيّلة في آخر الدعوة.. "عوائد هذا المزاد ستذهب إلى المؤسسة الخيرية لمبتوري الأطراف".. لا أعلم مؤسسة خيرية بهذا الاسم!!.. انتفضتُ من مكاني وكأنني أمسكت بطرف الخيط الذي سيحل تلك القضية.. قمنا بعمل نسختين من الدعوة تطابق الأصل تماماً قبل إرجاع الدعوة التي حصل عليها مساعدي إلى حيث كانت قبل رجوع (سعاد) إلى منزلها في وقتها المعتاد.. أوكلتُ المهمة إلى اثنين من أكفأ الأفراد بعد أن زوّدناهما بأحدث تقنيات الاتصالات اللاسلكية والكاميرات عالية الجودة.. وكنتُ أنتظر اليوم المعهود كأسير ينتظر يوم الفرج..

في يوم المزاد.. توجه أفراد الفريق السرّي إلى مقر المزاد.. وكانت الكاميرات المثبتة على ملابسهما تنقل لنا كل شيء بوضوح باهر.. في بادئ الأمر.. تقدم رجل

كبير في السن وألقى كلمة إلى الجمع الذي بدا من الطبقة النبيلة.. وأثنى على سخائهم المتواصل في دعم المؤسسة.. وابتدأ الحفل بالمزايدة على لوحة باهرة الجمال.. كانت الألوان الزاهية تتراقص على ألحان ريشة ذلك الفنان السحرية.. فالغيوم تحتضن السماء وزخات المطر تتغزل بمياه البحر في منظر أشبه ما يكون بالحقيقة.. بيعت تلك اللوحة بثلاثة ملايين دولار.. مما جعلني أختنق بشطيرة التفاح التي كانت تملأ فمي.. أكملت تناولها وأنا أشاهد منحوتة فنية صنعت من العاج على ما يبدو.. ظهرت (سعاد) في الصورة.. وكانت تبدو بحلة أنيقة.. قميص أبيض تحتضنه تنورة قصيرة تُظهر الركبتين على استحياء.. كان لباسها غير محتشم بعكس ما بدت عليه حين قدمت إلى مكتبي تماماً.. تنحنحت (سعاد) وحيت الحضور وقالت مفتخرة:

- يسعدني تواجدكم جميعاً.. كما جرت العادة في كل عام.. أقدم لكم عمل بنيتي (نادية)..

توجهت أعين الحضور إلى شابة مقعدة.. يبدو.. يبدو.. ثم أكملت (سعاد):

- لقد طفقت تنحت هذا العمل الأخاذ لمدة عام كامل.. سنبدأ المزاد على هذه المنحوتة ابتداءً من عشرة ملايين دولار!!!

خرجت فطيرة التفاح من أنفي عندما سمعت ذلك المبلغ.. شرقت بشطيرتي ولم أهنأ بها.. وصل سعر المنحوتة إلى أربعين مليون دولار ورفضت (سعاد) أن تبيعها.. رغم ذلك المبلغ الضخم.. عندها علمتُ بأن هذا المزاد ما هو إلا مرتع لغسيل الأموال فأمرت قوات المداهمة بالقبض على جميع من في المزاد.. والذي بلغ عددهم عشرين رجلاً وامرأة..

ظننت بأن (سعاد) كانت شريكة في غسيل الأموال ولكن خاب ظني.. بل كانت أسوأ من ذلك.. قالت وهي تضغط على أضراسها:

- كنت أظنني أكثر ذكاءً من أجهزتكم يا حضرة المحقق.. حاولت تضليلكم بإيهامكم بأن (رامز) قد مات فعلاً.. لقد كنت ضحية مجتمع بلا رحمة.. لم يشأ أي أحد مساعدتي.. رغم أن جميع التقارير تشير إلى خطأ طبي فادح تسبب في بتر رجل ابنتي (نادية).. قبل أعوام عدة.. وعندما طالبت بمحاسبة الطبيب المتسبب في ذلك.. قوبلت شكاوي بالرفض.. فقررت الانتقام لابنتي بنفسي بالاتفاق مع الدكتور (رامز).. إذ كان يختار الأطفال من مختلف المستشفيات. بالتحديد المصابين بمرض السكر.. حتى يتمكن من إيهام أهلهم الحاجة لبتر أحد الأعضاء

لتفاقم المرض وتلف أنسجة القدمين.. بعد بتر الأعضاء.. تُعطى لابنتي (نادية).. فهي فنانة وتعشق المنحوتات.. بعد الانتهاء من العمل الفني الذي يُصنع من أطراف الأطفال.. أقيم و (رامز) مزاداً فنياً ندعو فيه الأثرياء لشراء لوحات فنية نادرة وعمل العام الذي تقدمه (نادية).. فكلهم يعلمون كيف تُصنع تلك المنحوتات.. ولذا فهم يتهافتون لشرائها بمئات الملايين.. إذ يذهب ريع المزاد إلى المؤسسة الخيرية لمبتوري الأطراف..

قاطعتها بغضب:

- ولم قتلت الأطفال الثلاثة إذا كنت لا تحتاجين إلا لأطرافهم فحسب؟!

ابتسمت بخبث وقالت:

- إذا لم ننجح في بيع العمل الفني في أي عام..

كنا نلعب لعبة الروليت الروسية.. بعد المزاد.. نقوم بخطف الطفل الذي بترنا أعضاءه ونقوم بتوجيه المسدس على رأسه.. إما أن يموت مباشرة أو نقطع عضواً آخر ثم نلحقه بمؤسسة مبتوري الأطراف الخيرية الخاصة بنا.!.. فهي جمعية سرية لا يعرف مقرها أحد.. تستطيع تسميتها بالسجن إذا أحببت.. بعد مقتل هؤلاء الأطفال توقفنا عن عمليات القتل.. واكتفينا ببتر أعضائهم وإلحاقهم بالمؤسسة تحت أسماء مستعارة..

- ولِم لم نجد أسماء الضحايا في سجلات المرضى؟!.. أهو بسبب ضياع الملفات كما تزعمين؟

ضحكت بصوت مستفز وقالت:

- إنّ من يملك أربع جوازات سفر.. وشهادة وفاة.. لن يصعب عليه إخفاء هوية ضحاياه.. أعني الدكتور (رامز).. حفظه الله!!!

*****

مكتبة
بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

لم نكُ شيئاً!!!

أمسكت فتاة رشيقة القوام بالمصدح أو المايكروفون وقالت بصوتٍ مبحوح سلب ألباب الحاضرين:

- في البداية.. أشكركم جميعاً على وقتكم الثمين وتبادل خبراتكم المثرية.. لقد

أبهرتني جميع القصص بلا استثناء.. وأودّ أن أقرأ جزءاً من مذكراتي التي كتبتها قبل عام من الآن.. إذ دونتُ قصةً لا تقلّ غرابةً عمّا سمعته قبل قليل:

الخامس من حزيران، 2000

اممم.. رائحة الكتب.. يا لها من رائحة زكية.. فلا عجب من إدمان القراءة و مقارعة الكتب والنهل من مُدامة علومها وعجائبها.. المؤسف في الأمر.. أن هذه الرائحة اختلطت برائحة الموت والدماء.. فأنا الآن في مسرح الجريمة.. نعم.. مكتبة.. فقد تلقيتُ بلاغاً يفيد بمقتل أمينة الكتب في مكتبةٍ أثريةٍ قديمةٍ.. تقبع هذه المكتبة في أحد الأحياء الشعبية المجاورة للمدينة.. للمكتبة أرففٌ خشبية متهالكة.. وقد سترت الكتب عيوبها.. وكأنها مساحيق تجميل وُضعت لإخفاء عيوب حفرٍ ومساماتٍ رسمتها ريشة الحياة.. كانت الكتب تحتضن بعضها بعضا في منظر يشبه لقاء الأحبة.. ما فتئ منظر الكتب يسلب كينونة لبّي ويبعثر أوراق ذاكرتي.. لا أعلم إن كان هذا الأمر طبيعياً أم لا.. ولكن هذا ما أشعر به حينما تقع عيناي على غلاف كتابٍ ما.. كانت المرأة ممددة على الأرض والدماء تسيل من أنفها ورأسها كمياه الميزاب.. اسمي (عبير).. أعمل كنائبة للمحقق العام في مركز العاصمة منذ ثلاثة أعوام.. وُكّلتُ للتحقيق في هذه القضية التي سلبتني نومي طوال فترة التحقيق.. ولم يهنأ لي بال حتى صرّح المحض عن الزبد .. انكشفت تفاصيل تلك القضية الغريبة.. في البداية.. ظننت أنها عملية انتحار لا أكثر وهكذا ظن جميع من كان في مشهد الجريمة.. لم أستعجل الأمر.. وانتظرت تقارير الطب الجنائي.. وبينما أنا أنتظر.. وفي يوم رتيب.. وردني اتصال من مديرة مكتبي يفيد بأن أحدهم كان في انتظاري ليدلي بمعلومات مهمة تخص القضية.. نهضتُ بسرعة كالمعتوهة.. أضرب أخماساً على أسداس.. هل انتهت تلك المعضلة ذلك اليوم؟!.. هكذا اعتقدت.. ولكنها ازدادت تعقيداً لا أكثر.. عندما وصلت لمكتبي.. رأيتُ رجلاً كفيفاً في عقده الثالث من العمر.. رثّ الثياب.. أفيدع أصيلع.. شُرم أنفه.. وجحظت عيناه واخضلت.. فما فتئ يمسحها بمنديل طوال فترة حديثه.. لقد أراحني ذلك الكهل كثيراً.. فقد اعترف بجريمة القتل التي نفّذها بالسم كما يدّعي.. عجباً.. عثيثةٌ تقرم جلداً أملساً .. كفيفٌ وقاتل في الوقت نفسه.. فكيف له أن نفّذ الجريمة وهو بتلك الحالة.. وماذا عن وجود الجثة ملقاة وكأنما أُلقيت من أعالي البناء.. وعندما سألته عما يجول في خاطري.. تعجّب وصار يتلفتُ يميناً وشمالاً وهو ينظر للأعلى وكأن بصيرته خذلته كما خذله بصره.. أقسم بأنه أضاف السم بيديه.. قال وهو يهز رجله بتوتر جليّ:

- كنت أتردد على المكتبة كل يوم يا سيدتي.. أقضي معظم يومي مع (هبة)..

أمينة المكتبة.. فقد ورثتها عن أبيها عن جدها.. وقد فاق عمر تلك المكتبة المئة عام.. كانت (هبة) هي "الهبة" التي أعطانيها الله.. فقد كانت عيني التي أبصر بها.. فكنا نجلس على الأرائك الخارجية.. لأسرد لها ما يجول في مخيلتي وتكتبه هي بدورها بقلمها الخشبي وأوراقها البالية.. كتبنا عشرات الروايات معاً.. حتى أصبح اسمي يُشار إليه بالبنان في عوالم الكتابة وبين أروقة الأدب.. كانت (هبة) تستسيغ طعم القهوة التي أعدها في منزلي.. ولذلك.. كنت دائماً ما أعدُّ لها قدحاً من القهوة وآتي بها إلى المكتبة لتعمل معي بتركيز كما تقول.. كنا ننكبُّ على كتابة الروايات حتى منتصف الليل أحياناً.. وتكرر هذا الأمر خصوصاً في الرواية الأخيرة.. والتي كانت السبب في مقتلها..

مكتبة
بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

قلت باستفهام:

- هل روايتك الأخيرة كانت سبباً لمقتل (هبة) بالسم؟!..

أخرج علبة عقاقير.. ونزع منها دواؤه انتزاعاً.. تحدث بعد أن ازدرد دواءه بلعابه:

- نعم يا سيدتي.. كانت (هبة) صديقة مقربة لي.. وكنت آتمنها على جميع أسراري.. كانت روايتي الأخيرة تتمحور حول حياتي.. بجميع خباياها.. ذكرت فيها كل التفاصيل.. حتى مقتل زوجتي وأطفالي بحادث سيارة كنت أنا المتسبب به بسبب المسكرات.. وهو ما تسبب بفقد بصري أيضاً.. أما عن عشقي لها.. فقد خصصت فصلاً كاملاً وصفته فيها بكل كلمات الغزل وتعابير الجمال.. ولكنها.. ولكنها خانت الأمانة بعد أن كشفت سر الرواية لأحد ملّاك دور النشر.. ولخبثه ودنو أخلاقه أفشى ما عملته (هبة).. قد تظنين يا سيدتي أنني بالغت بمقتلها قليلاً.. فمن يقتل من أجل رواية؟!.. ولكن هذه الرواية مختلفة تماماً.. فقد احتوت على خبايا لو علمت بها أجهزة الأمن لأجهزوا علي.. ولاسيما أنني صرحت بأن هذه الرواية مبنية على "حياتي" الواقعية.. ظننت أنني بقتلها سينتهي كل شيء.. ولكنَّ هذا لم يحدث فكنت كالمستغيث من الرمضاء بالنار.. فلا أنا نشرت الرواية ولا أبقيت على حياة حبيبتي.. فبعد مقتلها كنت أراها في منزلي كل ليلة.. أعلم أنك ستنعتينني بالجنون ولكنني متأكد من ذلك.. متأكد.. لذا.. قررت أن أنهي معاناتي بالسجن بدلاً من الجنون.

- حسناً.. قلتها وأنا متحمسة لإخبار المحقق العام بما جرى.. وأنني وبفضل مهارتي اكتشفت القاتل.. أمرت بالزج به في السجن إلى حين انتهائي من الإجراءات واستلام تقرير الطب الشرعي.. وفي مساء ذلك اليوم.. صفعني أمر آخر.. جعل من

تلك القضية كابوساً أحلم به كل ليلة.. إذ قدم فتى يبلغ من العمر خمسة عشر عاماً.. كان جسده يرتجف كالزلزال.. وفرائصه ترتعد كالمصروع.. أمرته بالجلوس بعد أن ناولته كأساً من الماء.. فأخذ يشربه بنهم شديد.. قال بصوت متحشرج:

- أنا هنا اليوم يا سيدتي بشأن قضية (هبة).. أمينة المكتبة.. وجئت لأعترف بجريمتي.. فأنا من قتل (هبة).. نعم.. أنا من قتلتها بيديّ هاتين!!!

اتسعت عيناي.. وتوقف تفكيري لبرهة.. فأنا الآن بصدد التحقيق في جريمة قتل اعترف بتنفيذها قاتلان.. يا للعجب!!

أكملت وأنا أكتم توتري:

- وكيف نفذت هذه الجريمة؟!.. وما الدافع الذي جعلك تقوم بذلك؟

قال بعد أن تنهد بألم:

- (هبة) هي أمي.. أعني بمثابة أمي.. نعم.. فأنا لقيط بلا هوية.. كان ذلك قبل ما يقارب الخمسة عشر عاماً.. إذ وجدتني عند باب المكتبة في شتاء شهر (ديسمبر).. فقد تخلص مني عديمو المسؤولية في جوّ مثلج وبرد قارص.. عملتُ معها في المكتبة وعشقت القراءة وأصبحت نمطاً لحياتي.. كانت (هبة) طيبة.. طيبة للغاية.. حتى التقت بذلك الأعمى اللعين.. الذي أفسد حياتها وجعلها تقارع الخمور والمخدرات.. هكذا هم السيئون دوماً.. لا يكفيهم بأن يكونوا سيئين وحدهم.. بل يجزون معهم من يستطيعون لتسليتهم في قعر جهنم!.. كنت أكرهه.. كرهته منذ أول يوم رأيته فيه.. لا أعلم لماذا.. ولكن كما يقال.. اتقوا من تبغضه قلوبكم.. حاولت أن أحبه ولكنني لم أستطع.. كنت دائماً أحذر (هبة) منه ولكنها لم تأبه بكلامي.. كانت (هبة) واقعة في حبه بشكل جنوني.. حتى أصبحت لا شيء.. لا شيء سوى دمية تتراقص بين أيديهما.. فقد كانا يجبرانني على تمثيل بعض مشاهد روايات ذلك المعتوه.

رقصتُ وغنّيت.. وبكيت.. حتى كرهت حياتي وأقدمت على الانتحار ولكنني لم أنجح حتى في ذلك.. فأنا فاشل كما تقول لي (هبة) على الدوام.. الأمر الوحيد الذي أحببته في ذلك الرجل هو قدح قهوته ذو الرائحة الزكية.. لم أتذوق أزكى من تلك القهوة في حياتي.. حتى.. أدمنت ارتشافها.. اللعين ابن اللعناء.. كان يضع عقاقير مخدرة في قهوته لندمن شربها أنا و (هبة)!!..

قلت وأنا تائهة في بحر أفكاري:

مكتبة
بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

- وكيف تمكنت من قتلها؟!

تبسم بخبث ثم أردف قائلاً:

- لما يكن ذلك صعباً البتة.. فقد عانت (هبة) من (السومنا مبليزم) أو متلازمة السير النومي.. وقد خططت لذلك منذ سنوات.. وأنا أراقب تحركاتها أثناء نومها في الطابق الثاني الذي يعلو المكتبة.. فقد كانت دائماً ما تتجه إلى الشرفة محاولة فتح بابها ولكنها كانت تحرص على إغلاقه بقفل موصد بعناية.. وما قمت به هو فتح ذلك القفل تلك الليلة وحدث ما حدث.. ولم أرجع إلى المكتبة حتى اليوم الثاني!

لم أشأ إخباره بأمر (عامر).. أعني الكاتب.. أو القاتل.. لا أعلم كيف أنعته.. فإخباره بهذا الأمر قد يعقد تفاصيل القضية.. أمرت بسجنه هو الآخر.. وكان أملي الوحيد هو تقرير الطب الشرعي والذي سيحسم الأمر بوجود السم من عدمه.. في اليوم التالي.. فقدث آخر أملٍ في تلك القضية الغامضة.. فقد بين تقرير الطب الشرعي خلو جثة الضحية من السم.. والأدهى والأمر هو سبب موتها.. فقد ماتت (هبة) مخنوقة!.. نعم.. مخنوقة.. تشابكت حبال القضية حول رقبتي.. لا أدري ماذا أعمل.. فقد تجمدت الدماء في عروق دماغي.. قاتلان يعترفان بجريمة لم ينفذها أيٌ منهما.. أمرت بأخذ البصمات مجدداً من الجثة.. وكذلك إخضاع الكاتب والفتى لجميع الفحوصات من بصمات وتحليل الجينات الوراثية لكليهما.. وإذا ما طابقت الآثار التي تركها المجرم على جثة الضحية.. الغريب في الأمر أن البصمات التي كانت على جثة (هبة) مُسحت بالكامل.. ولم نجد أي أثر يدل على تطابق بصمات في أي جزء من جسدها.. زادني ذلك خيبة على خيبتي.. لم يكن الفتى يحمل أي أوراق رسمية تدل على هويته.. فقد كان "لقيطاً" كما ذكر آنفاً.. تشابكت خيوط القضية.. ولم يكن لي حول ولا قوة خلا انتظار نتائج الفحوصات المخبرية علّها تؤدي إلى اكتشاف خيط يقودنا إلى القاتل.. ولكن هل يُعقل وجود قاتلين في آن واحد.. أمر غريب.. لم تستطع خلايا دماغي استيعابه.. في مساء ذلك اليوم.. أردتُ أن أرتاح قليلاً من عبء القضية وتعقيدها.. فقررت زيارة صديقتي الدكتورة (منى).. كانت شقة (منى) مصممة على الطراز الحديث.. إذ كان الخشبُ يغطي معظم أجزاء الشقة بالإضافة إلى الرخام الاسباني والذي بدا انعكاساً للسماء الدنيا ليس إلا.. قلت وأنا مبهورة بجمال المكان:

- ياه يا (منى).. لقد أتعبتني هذه القضية.. معقدة.. معقدة للغاية.. أريد أن أرفه عن نفسي قليلاً.. ماذا عن مشاهدة فيلم؟!

- فكرة رائعة.. سأعد الشاي والكعك.. ريثما تجدي لنا فيلماً مناسباً!

رغم استمتاعي بتلك اللحظات الجميلة.. إلا أن تفاصيل القضية ما زالت تشغل مخيلتي.. أمرٌ مرهق فعلاً.. وفي أثناء ذلك.. تنفست الصعداء.. إذ وردني اتصال منتظر من المخبر الجنائي على غير العادة.. كنتُ أستمع إلى المتحدث في الطرف الآخر فاغرة فمي الذي اتسع وعيناي.. كانت (منى) تنظر لي بتوجس.. قالت بصوت مرتجف:

- ما الذي دهاك يا (عبير)؟

جلستُ مرتخية الأعضاء وقد فلت هاتفي من يدي.. فقد وصل إلي ما لم يكن متوقعاً.. يبدو أن هذه القضية تزداد تعقيداً.. قلت لـ(منى) وعلامات التعجب ما زالت بادية على محياي:

- النتائج يا (منى).. لم لم أفكر في هذا من قبل؟!

في اليوم التالي.. قلبت نتائج تحليل الجينات الوراثية مرة أخرى وأنا أصفق كفاً بأخرى.. فقد تبين بعد تقييم طول التكرارات المترادفة للكروموسومات بأن المجرمين تربطهما علاقة الأب وابنه!.. أمرٌ لا يصدق.. فلماذا اعترفا معاً بارتكاب الجريمة؟.. ولكن ما علاقة (عامر) الحقيقية بـ(هبة).. عاودتُ التحقيق مع (عامر) وقلتُ له بصرامة:

- اسمع يا (عامر).. تسابقك إلى حبل المشنقة ليس بشجاعة.. لقد عرفت حقيقة علاقتك مع الفتى الذي يعمل مع (هبة).. هيا أخبرني بالحقيقة.

شهق من هول الصدمة.. وبدأ جسده الهزيل بالارتجاف.. خشيت أن يمسه سوء لاسيما أن جميع أعضائه معطوبة من المسكرات.. تنفس بصعوبة وقال بصوت مرتجف واضعاً يده على قلبه:

- أصبت يا سيدتي.. نعم.. فـ(رائد).. هو ابني وليس بذلك..

ضربتُ بقبضتي على الطاولة وقلت:

- هل تريدني حل لغز ما أم ماذا؟!.. تحدث بوضوح.. هيا.

- حسناً.. قبل أعوام عدة.. كانت نعم الله تحيطني من كل الجهات.. ولكنني لم أكن أعبأ بها.. هكذا هو الإنسان لا يشعر بالنعم حتى يفقدها.. كانت أسرتي سعيدة.. نعيش في مكتبة حميمية.. كانت بمثابة الوطن الصغير لي ولعائلتي.. ولكنَّ القدر لم

يشأ ذلك.. امم ليس القدر هو السبب في تفكك أسرتي على ما يبدو.. بل هو غبائي وانعدام حس المسؤولية.. فيداي أوكتا وفمي نفخ!.. تزوجت (هبة) وأحببتها.. وكانت على وشك ولادة طفلنا الأول.. ولكن تراكم الديون أدى إلى إدماني للمسكرات.. حتى تسببت في حادث أدى إلى فقدان بصري ونحن في طريق عودتنا من المشفى بعد ولادة (رائد)..

أصرت (هبة) على الطلاق.. ومنعتني من تسجيل ذلك الفتى حتى في الأوراق الرسمية وزورت مقتله أثناء الحادث وادعت وفاته بعد عدة أيام متأثراً بجراحه.. بل أوهمته بأنه لقيط وجدته في أحد أيام الشتاء القارصة.. بعدها بسنوات.. زرت (هبة) في المكتبة وأنا في حال يرثى لها.. أشفقت على حالي البائسة على ما يبدو.. وقبلت أن أزورها كل يوم بشرط ألا تربطني أي علاقة مع ابنها (رائد).. ولكن كما يقال.. فمن مأمنه يؤتى الحذر.. انتظرت حتى أحبتني مرة أخرى.. عندها.. حاولت أن أجعل منه أضحوكة.. يرقص ويبكي.. ويلعب أدوراً لا تناسب سنه.. بعد أن أفسدت والدته وأفقدت عقلها بالمخدرات.. رغم أنها تشعر بتأنيب الضمير.. إلا أنها سرعان ما تعاود إهانة ابنها ما إن تفقد عقلها مرة أخرى.. نجحت في إفساد علاقتها بابنها حتى كرهها.. وكره كل شيء حوله وأولهم أنا.. عندها بدأت بتنفيذ خطتي لقتلها بمساعدة (رائد).. تعجبت من سرعة إقناعه لقتل والدته.. فلم أبذل جهداً لتنفيذ ذلك.. يا لقساة القلوب.. كيف لامرئ أن يقتل والدته بدم بارد.. وما يزيد الأمر سوءاً هو تعاونه مع من أفسد حياته.. ففي ليلة مقتلها....

توقف (عامر) عن الكلام.. وكأن أحدهم بدأ بخنقه ببطء.. سقط على الأرض وأحدث دوياً كهزيم الرعد أو هو أشد من ذلك.. هرعت إلى إنقاذه ولكنه فارق الحياة هو الآخر.. لقد فقدت خيطاً آخر من خيوط الجريمة.. ولم يتبق إلا (رائد).. أمرت الحارس بأن يحضروه فوراً إلى مكتبي بعد انتشال جثة والده وإنهاء إجراءات الوفاة والفحص الميداني للجثة.. كان وجهه متبلداً بلا مشاعر.. أخبرته بما أعرف وعن موت والده بسكتة قلبية على ما يبدو.. ضحك بصوت عال وقال:

- ليس هناك أسوأ من أن يقتل أحدهم والديه.. ولكنهما استحقا ذلك.. فبعض البشر لا يقدرون نعمة الأبناء البتة.. بل لا يستحقونها.. ما قاله والدي صحيح.. ولكنه ليس بتام الصحة.. فقد أراد ذلك اللعين قتل والدتي بالسم كما اعتقد بعد أن أعطانيه في الليلة السابقة لمقتلها.. وقد أوهمته بأنني أضفت السم في كوبها الذي أعده لها بنفسه.. ولكنني أضفت السم لكوبه.. وهو سم له مفعول بطيء يتسبب بسكتة قلبية مفاجئة بعد أيام عدة كما أخبرني ذلك الأعمى الخبيث.. فهذا ما حدث له بالفعل.. لم

أكن أعلم وقت موته.. ولكن جسده لن يحتمل مفعول السم لمدة طويلة.. فالمخدرات أودت بجسده إلى الهلاك!.. أما عن والدتي.. فما سردته في بداية التحقيق أمر في غاية الدقة ولكنني لم أذكر بأنني خنقتها ثم ألقيت بها من الشرفة بعد مغادرة والدي.. إذ اقترحت عليه بأن يخرج من المدينة حتى يبتعد عن دائرة الشبهات ولا يفتضح أمرنا بعد موته بالسم.. ولكن ذلك المعتوه أراد أن يظهر بمظهر الأب المغوار.. واعترف بجريمته حتى يبعد كل الشبهات عني.. ولما علمت بقدومه إلى هنا.. أسرعت بالاعتراف بجريمتي.. فأنا لا أريد أن يكون له فضل علي حتى وإن كان ذلك سيتسبب في مقتلي.. ولم أشأ أن أستبق الأحداث وأخبركم بالسم الذي دسسته في كوبه.. لأنكم ستعرفون هذا لاحقاً لا محالة.. ولكن هل تعلمين يا سيدتي بأنني كرهت الحياة ووجدت عذراً آخر للتخلص منها.. قتلا في الحياة فسلبث روحهما معاً.. فنحن عائلة لا تستحق أن تعيش.. فقد جبلنا على الخبث والخيانة.. والذي خبث لا يخرج إلا نكداً.. سأموت الآن وأنا مرتاح البال وكأننا لم نك شيئاً!!!

*****

منصة إعدام

تنحنح الجنرال (س.ر).. وقال بوجه عابس جاد:

سأطلعكم اليوم على قصة حدثت قبل عشرات السنين من الآن.. ولكن أحداثها ما زالت تصدح بيننا إلى يومنا هذا.. وجدث تلك القصة في إحدى القصاصات التي عثر عليها إبّان الحرب العالمية الأولى التي أودت بالدولة العثمانية إلى الفناء.. وكتب أحداثها صبي من الطبقة الأرستقراطية على ما يبدو:

ما أكثر المجانين!.. حقيقة لا يعرفها المجانين أنفسهم.. فكم من عاقل لا يملك من العقل سوى اسمه لا أكثر.. محدثكم يقف الآن على منصة الإعدام التي أعدتها القوات العثمانية للخونة أمثالي!!.. يا لهم من مجانين.. يظنون أنهم بإعدامي ستنتهي القصة وسيندثر ذكري.. لكن.. هيهات هيهات.. سأبقى وسيندثرون.. سأظل حياً ما بقي الليل والنهار.. وسيدفنون ويدفن ذكرهم معهم في أجداثهم النتنة..
نحن الآن في سنة 1900 ميلادية قبيل الحرب العالمية الأولى.. لقد تركت لكم هذه المذكرات لعلّها تصل إلى من تصل إليه.. لا يهم.. فأنا ومن معي هالكون لا محالة..
وقد طارت بنا العنقاء كما يقولون.. بدأت قصتي في قصر والدي (سليم باشا).. أحد أثرى الأثرياء في العاصمة (إسطنبول).. كان ذلك القصر غاية في الجمال وآية من

مكتبة بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

آيات الفنون.. يقع بالقرب من بحر مرمرة.. بني القصر على الطراز (الباروكي) الفرنسي تتخلله زخارف العمارة الإسلامية المميزة.. فقاعة الاستقبال أو ما يُعرف بـ (السلاملك) باللغة التركية.. تمتد إلى ارتفاعات شاهقة وكأنها تعانق عنان السماء.. كانت السجادات الحمراوات تغطي أرض القصر ممتدة حتى السلالم الضخمة التي تضفي إلى الجزء المقدس في القصر أو ما يعرف بـ(الحرمليك).. وهو الجزء الذي كانت تسكنه والدتي -رحمها الله- وخادمات القصر.. أما الحديقة الضخمة التي كانت تحيط بالقصر فكانت تحكي عظمة الخالق وتتحدث عن آلائه.. زهور ذات ألوان زاهية.. نباتات غريبة الشكل.. بالإضافة إلى التماثيل التي يجمعها والدي (سليم باشا).. الذي يعرف بـ(السردار الأكرم) أو القائد العام للقوات.. كان والدي مقرّباً لدى الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) وكانت أسرار الدولة تتراقص بين يديه.. إذ كان والدي فائق الذكاء أدهى من قيس بن زهير نفسه.

عشتُ وحيداً بين جدران القصر.. ويكأنني جزيرةً وسط محيط هائج.. إذ كان والدي صعب المراس.. وكما يقال: شِنشِفةٌ أعرفها من أخزم .. أعني بذلك جدّي لأبي والذي لم أره هادئاً إلا مرة واحدة في حياتي.. عندما دخلت الخلاء ووجدته يقضي حاجته.. عندها.. أغمضتُ عيني واستغفرتُ لي الله.. ودق قلبي حتى كاد أن يخرج من مكانه!!.. كان جدي حريصاً على تعليمي لغة القرآن.. أعني اللغة العربية.. وكان أفضل معلمي العربية يقصدون قصر (سليم باشا) لتعليمي إياها.. حتى عشقتها تماماً.. وأصبحتُ بارعاً فيها وحفظت أمثال العرب عن ظهر قلب.. توفي جدّي عندما كان يأكل بنهم كعادته.. شرِق.. وفطس ومات.. لا أخفيكم بأنني لم أشعر بالحزن أو أي فراغ لموته.. سوى فراغ كرسيه الذي تركه بعد هلاكه.. أشعر بوقاحتي أحياناً.. ولكن صدقوني.. كان جدي.. اممم.. لا أعرف كيف أصفه الآن.. ولن أتفوه إلا بالرحمة التي لا أتمناها له.. إذ كان له الفضل بعد الله في وجودي في هذه الحياة.. كانت طفولتي بائسة كبأس أصحاب النار أو هي أشد بؤسا من ذلك.. فماذا سيفعل طفلٌ في قصر لا يسمع فيه سوى صوته.. بالإضافة إلى صوت الخادمات ورئيسهم (سيف الدين).. الذي لا يعرف من الدين سوى عقد النكاح.. إذ تزوج أربع عشرة مرة.. ولم ينجب إلا صبياً وابنة وحيدة.. فهو عكس اسمه تماماً.. فلا هو بالسيّاف ولا يفقه بالدين كما ذكرت آنفاً.. كان جدّي يلقبه بـ(رابح).. ولم نكن نعرف لماذا.. حتى صرّح أبي بأن جدي كان يرعى الأغنام في صغره.. وكان له خروف ذميم أسماه (رابحاً)!.. أما ابنه (مراد).. فكان يصغرني بثلاثة أعوام.. لم أستطع أن أقضي وقتي معه وذلك لأنه كان كفيفاً.. كنّا أنا وأصدقائي دائماً ما نزعج ذلك المسكين ونرميه في الوحل.. ولم يردعنا عن إيذائه إلا كسر رجله.. تسببتُ فيه بعد أن سقط من السلالم بإيعاز

من أصدقائي.. إذ أوهمناه بعدم وجودها.. شعرت بالندم لبعض الوقت.. ولكنني سرعان ما عاودت إيذاءه.. والغريب في الأمر بأنه كان يحبني حباً جماً.. ويشاركني طعامه الذي لطالما بصقت فيه.. المسكين كان لا يلوي على شيء.. خلا بكائه الذي يطربنا طوال الوقت.. كان أبي يوبخني كثيراً عند علمه بما يحدث لـ (مراد).. ولكنني كنت مستمراً في إيقاعه في حبل مصائدي.. ففي أحد أيام عيد الأضحى ظلّ (مراد) ينتظرني عند الشجرة الضخمة التي تقبع في مدخل الحي.. فمن عجائب ذلك الفتى أن بصيرته أنفذ من بصري.. فهو يعرف مداخل الحي ومخارجه أكثر من المبصرين أنفسهم.. وكنت قد استأجرت كلاباً أربعة أمسكت بهم إلى حين قنوط (مراد) من وصولي إليه ورجوعه إلى القصر مرة أخرى.. وبالفعل.. رجع أدراجه يجز أذيال الملل والخيبة.. وعند مروره بالقرب مني أطلقت الكلاب التي راحت تعوي عليه كهزيم الرعد أو هو أشد من ذلك.. راح ذلك المسكين يتخبط ويركض بلا وعي حتى اصطدم بأحد عربات الخيل فكُسرت رباعيته وأدميت شفتاه!.. عندما علم أبي بالأمر.. ضربني حتى كادت روحي التائهة أن تخرج من بدني.. أحسست بأنها تريد أن تخرج بأي طريقة كانت.. فراحت تتخبط بين ثنايا جسدي ولم تعرف السكينة حتى خلدتُ إلى النوم.. وخرجت عندها وهي تشهق وتندب حظها الذي أسكنها جسدي!!

كان التجنيد إجبارياً في عهد السلطان عبد الحميد الثاني.. وهو السلطان الرابع والثلاثون من سلاطين السطوة العثمانية.. أعني الدولة العثمانية.. ولحسن حظي لم أكن مشمولاً في الخدمة العسكرية وذلك لكوني النجل الأوحد للسردار الأعظم (سليم باشا).. وكنت أقف عند مدخل الحي وأنا أرى زملائي بلباسهم العسكري وهم ينظرون إليّ بحنق.. إذ كنت أحاول استفزازهم بالتلذذ بتناول المثلجات وأنا أنظر إليهم بشماتة يصحبها ابتسامة عريضة.. ولأزيد استفزازهم.. كنت دائماً ما أحمل المذياع وأستمع إلى الغناء وأنا أرقص وأصفق.. فلو لم أكن ابن (سليم باشا).. لكنت في عداد الموتى لا محالة!

كانت (ليلى) شقيقة (مراد).. تعتني به وتهتم لأمره.. وكانت تكرهني كما تكره (الفاشية) الليبراليين .. كانت جميلة بل فائقة الجمال.. شعر ذهبي.. عينان واسعتان.. ووجه قمري أخّاذ.. جمالٌ جذّاب.. إذ يحيّر العقول ويسلبُ الألباب.. كنت دائماً ما أحاول أن أتقرب منها ولكنها لا تطيق حتى رؤية ظلّي!.. السبب جليّ.. ازدرائي لأخيها (مراد).

كنتُ ذات يومٍ أمرّ على جناح الخدم الذي يقيم فيه (سيف الدين) وأولاده.. لمحتُ

الباب مواربآ فدخلتُ لأشبع فضولي وأروي ظمأ تطفلي.. عندها.. شاهدتُ (ليلى) وهي تسرّح شعرها.. ولما أحست بي انتفضت وقامت من مكانها:

- ماذا تريد يا سيدي؟!.. قالتها وهي تنظر إلي برعب.

لم أنبس ببنت شفة وكنت لم أفتأ من الاقتراب منها حتى.. حتى تمكنتُ من جسدها.. راحت تبكي كالثكالى.. وتندب حظها كالبؤساء.. وترتجف كالجبناء.. هربتُ فوراً إلى والدي بعدما تخلصت من لباسي ولبست ملابس جديدة.. واعترفتُ له بما حدث.. وما فعلهُ (مراد) بأخته عندما كان باب جناح الخدم مواربآ!!!

فارَ أبي كالتنور.. وارتعدت فرائصه.. وأمر بحبس (مراد) الذي اقتيد إلى سجن (إزمير).. أحد أعتى السجون وأكثرها ضراوة في عهد الخليفة عبد الحميد الثاني.. ظلت (ليلى) تحت تأثير الصدمة لمدة تجاوزت ثلاث سنوات.. كانت شاحبة الوجه.. لا تتكلم.. وتأكل لتعيش لا أكثر.. حاول والدها أن يُنطِقها لمعرفة حقيقة ما جرى ولكنها كانت تنظر إلى الفراغ.. للا شيء!.. كنتُ أزور (مراد) في سجن (إزمير) بين الفينة والأخرى.. وكنا نقضي ساعات نحاول أن نعرف الفاعل الحقيقي.. لأنني -كما أخبرته- لا أصدق أنه ارتكب مثل هذا الفعل:

- سنبحث عنه يا (مراد) حتى نجده.. صدقني.. أعدك بذلك.. عجباً لهؤلاء.. كيف لهم أن يتهموك بمثل هذا الفعل الشنيع.. سوف يُردون إلى الله وسينالون ما يستحقون.. عليهم لعنات الأرض والسماء!

كان يكتفي بهزّ رأسه موافقاً لكلامي.. يا لي من وقح.. كدتُ أصدق ما أقول.. عاش (مراد) في السجن في حالة يرثى لها.. فمن يجالس.. المجرمين سيناله شيء من رديء أفعالهم.. إذ تعرّض (مراد) للضرب والتنكيل عدة مرات.. حتى اعتاد على الأمر.. لم يهنأ بنوم ولا طعام ولا بشيء.. وأوصيتُ الحرس بتمكين المجرمين منه متى أرادوا.. وكأنهم عميٌ لا يرون وصمٌ لا يسمعون.. لا أعلم لماذا أكرهه.. ولكنني كنت أستمتع ببؤسه.. حدثني بعض الحرس بأنهم كانوا يثبتونه من يديه ورجليه.. وكان السجناء يركلون الكرة باتجاهه ويستقبلها بصبر وصمت كعادته.. لنْ أسترسل في ذكر ما حدث له بالتفصيل لأنكم لن تقووا على قراءته على ما يبدو.

أطلق سراح (مراد) بعد تخفيف الحكم لأربع سنين مراعاة لظروفه.. وللأسف الشديد.. رفض والدي مكوثه في القصر.. وأسكنه في كوخ متهالك في أرياف (إسطنبول).. وكعادتي كنتُ أرعاه وأوصل إليه الطعام والشراب.. مما يثبتُ طيب أخلاقي وحسن نيتي.. ولكنني كنتُ أضيف المسكرات إلى شرابه لكي ينسى ما

حدث.. عجباً أحشفاً وسوء كيلة ؟!.. ثرخ وأحزانٌ بلا شراب يسليه في وحدته؟!..

أعتقد بأنكم كرهتم شخصي الآن.. أليس كذلك؟!.. ربما كان كرهكم لي قبل هذا بكثير.. ولكنني متيقن بأن كل من يحمل قلباً في ثناياه سيكرهني الآن لا محالة.. كانت (ليلى) لا تزال تعيش ببؤس في قصر السردار (سليم باشا).. حتى قتلها الحزن وكتم أنفاسها.. رحمها الله.. ماتت ودُفن سرها في لحدها.. شعرت براحة كبيرة عند سماعي بذلك الخبر.. ولكن لم يستمر فرحي وجذلي طويلاً.. فقد تركت رسالة تخبر الجميع بما حدث.. عندها.. علمت بأنها انتحرت ولم تمت حزناً كما كنت أتمنى.. أعني كما كنت أعتقد.. أرسل لي والدي أن أهرب إلى مكان بعيد.. ففعلت.. في بداية الأمر.. لم أكن أعرف إلى أين أذهب ولكنني لم أعرف أحداً سوى (مراد) الذي يسكن الأرياف البعيدة في مدينة (اسطنبول).. توجهت إلى ذلك الكوخ البائس وأنا أنتفض.. تذكرتُ (ليلى) حينها عندما كانت تنتفض وكأن زلزالاً ضربها.. ضربها هي وحدها!

لم يكن اللجوء إلى (مراد) فكرة صائبة.. إذ كان الخدم يأتون له بالطعام بين الحين والآخر.. حتى خطرت فكرة أخرى.. نعم.. قتلَ (مراد).. حاولتُ أن أخنقه بالوسادة التي أعطاني إياها لأنام عليها.. توقفتُ فجأة.. لا أعلم لم نكصت عن قتله ولكنني تراجعت فوراً وهربت إلى لا مكان.. كنت أتسكع في الشوارع وظننت أن أحداً لن يعرفني لما حلّ بي من ضعف واصفرار.. أما اللحية التي نمت على عارضي فكانت كفيلة بجعلي كهلاً بائساً.. ولكنني كنت مخطئاً .. إذ قبض علي أحد أصدقائي من الجنود الذين كنت أغيظهم عند مدخل الحي.. ثم زجوا بي في أحد سجون (اسطنبول).. الحمد لله.. إذ كان ذلك السجن أقل حراسة من نظيره (إزمير) الذي سكنه (مراد).. وُجهت إلي تهم عدة.. وهي الاغتصاب ومحاولة القتل والخيانة العظمى!!!

تباً.. ضغتُ على إبالة.. قتلٌ وخيانة عظمى؟!.. أيعقل أن محاولة قتل (مراد) خيانة عظمى؟!.. يا لهم من مجانين.. هل قتلُ ذلك الأعمى خيانة للوطن؟!.. لماذا؟!.. ومن يكون يا ثرى؟!.. حاولتُ معرفة ما يحدث من أصدقائي الحرّاس.. إذ لم أخضع لمحاكمة قط.. هكذا وردني خبر إعدامي بلا محاكمة.. كنت في أوجّ غضبي حينها ولكنّ ثورة غضبي سرعان ما هدأت!

علمتُ أن أبي سجن هو الآخر.. فقد أخبرني أحد الحرّاس بأن (سيف الدين) جنّ جنونه عندما علم ما فعلته بابنته.. فذهب إلى الصدر الأعظم شاكياً.. وقد ورد في شكواه بأن والدي خدع الجيش العثماني بعدما تخلى عن ابنه (مراد).. مقابل أن

أتهرب من خدمة الجيش.. تبا.. إن كان هذا صحيحاً فإن أبي أخبث مني!!.. وادّعى (سيف الدين) بأن السردار الأكرم أعطاه (مراداً) فور ولادته وقد شهد بعض الخدم القدامى بهذا أيضاً.. لا أعلم ما إذا كانت هذه القصة ملفقة من (سيف الدين) بالتعاون مع الخدم.. أم أن هذا فعلاً ما حدث.. شيء لا يصدّق البتة!.. عندها.. غضب الصدر الأعظم ولفق لي ولوالدي تهمة الخيانة العظمى.. لا أعلم كيف حدث هذا؟.. ولكنني متأكدٌ بأن التهرب عن الخدمة العسكرية لا تعد خيانة عظمى بل جريمة نكراء يُعاقب عليها بالسجن والتنكيل.. أنا لم أصدق رواية (سيف الدين) أؤكد لكم ذلك.. رغم أن مراداً يشبهني كثيراً بحسب ما يقول معظم الناس.. ما أكثر المجانين.. حقيقةً لا يعرفها المجانين أنفسهم!!!

مكتبة
بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

*****

قِصاصة

تقدم الرائد (ط. ر) من قسم الأمن الصحي والأوبئة من دولة عربية شقيقة:

- سأروي لكم اليوم بعض القصص الحزينة والغريبة في آن واحد أثناء مباشرتي أعمالي كرئيس لقسم الأمن الوبائي في العاصمة.. فقد كنا نجتمع مع استشاريي الأوبئة والأمراض المعدية لنتناقش حول مواضيع عدة تخص الجائحة.. كالحظر وإغلاق المحال التجارية وما إلى ذلك.. وكان بعض الأطباء يروون لنا بعض الحوادث التي واجهوها وزملاؤهم في المستشفيات التي اكتظت بمرضى (كورونا) في بداية العام 2020.. سأقرأ عليكم بعضها:

ياه.. كم أكره الجبناء!.. وأعتقد بأنني لست منهم.. فالجميع هنا مختبئون في منازلهم خوفاً من فيروس (كورونا) المستجد.. يا لهم من جبناء.. يخافون من شيء لا يرونه بأعينهم.. أما أنا وعائلتي.. فما زلنا نجتمع مع جيراننا الذين يسكنون في العمارة.. منذ بزغ نوري إلى هذه الدنيا.. فأنا آية في الجمال.. لست مغرورة.. فهكذا يقول جميع من حولي.. لعلهم يكذبون كعادة معظم الناس.. ولكنني أثق بجمالي الأخاذ وقوامي الجذاب الذي يحير العقول ويسلب الألباب.. بالمناسبة.. اسمي (سارة).. وأبلغ من العمر نيفاً وثلاثين عاماً.. أعتقد بقراءة الفنجان والتنجيم والأبراج.. ربما لا تروق لبعضهم هذه "الهوايات".. ولكنها المتنفس الوحيد الذي أستطيع من خلاله تمضية وقتي الممل.. بالإضافة إلى الاجتماع اليومي لنساء العمارة وما يتخلله من تحليلات سياسية واقتصادية وغيبة وبهتان.. العجيب أن أمي وجدتي يبدعن في قصص الغيبة وروايات البهتان.. حتى انتقلت هذه العادة

لي ولأخواتي.. أحب هذه التجمعات لأنني أكون النجمة التي يتودد إليها الجميع لقراءة الفنجان ومعرفة الطالع.. على الرغم من التحذيرات الجمة من مختلف المؤسسات الحكومية.. أجزم بأننا من أسعد الناس بل أسعدهم.. أثناء فترة الحجر الصحي.. عدا جارتنا (وردة).. امرأة مغرورة.. لا تخرج من كهفها البتة.. تعتقد بأنها مثقفة ولا تجتمع بنساء جاهلات على حد قولها.. لا أعلم كيف تستطيع تحمل الجدران الأربعة التي تحبس نفسها "الدنيئة" بينها.. حجر صحي وتباعد اجتماعي؟.. لا أستطيع مجرد التفكير في هذا الأمر.. أما عن بقية اليوم.. فإنني أقضيه في المطبخ.. فأنا طباخة ماهرة.. متمرسة في تصنيع الحلويات والأكلات الشعبية التي تشبع البطون وتبهر العيون.. فالغراب أعرف بالتمر كما تقول جدتي دائماً.. فأنا أول الواصلين إلى مائدة الطعام وآخر من ينفض يديه.. وحين يسدل الليل أستاره.. أتسمر عند شاشة التلفاز لأشاهد مسلسلات وأفلام عدة.. معظمها أفلام إجرامية لا تمت للأنوثة بصلة.. حتى بتّ أعرف شوارع "كولومبيا" وطرق "المكسيك"!.. جدتي تعد مصدراً للتسلية أثناء الحجر أيضاً.. لامتلاكها لمخزون قصص يفوق سعة تخزين جميع أجهزة الحاسب الآلي المصنوعة منذ العام 1910 ميلادية.. لا أعلم لماذا هذا العام بالتحديد ولكنه يدل على القدم بما فيه الكفاية.. أما عن آخر حكاياها.. فكانت عن ابنة قتلت والدتها بإيعاز من أبيها للاستيلاء على أموالها!

أشعر أحياناً بأن بعض البشر لا يمتلكون قلوباً بل استبدلوها بحجارة صماء.. فكيف تجرؤ ابنة أن تقتل والدتها.. أمر لا يصدق!.. فأختي الكبرى (مها) كانت دائماً ما تشكك في صحة قصص جدتي. أما بالنسبة لي فالقول ما قالت حذام .. فجدتي تروي قصصها بتفاصيل لا يعرفها أرباب القصص أنفسهم أحياناً.. أبالغ في ذلك أليس كذلك؟!.. فمن يستطيع معرفة نوع الخشب الذي يزين البوابة الرئيسة لمنزل الضحية سوى جدتي (هيلة)؟!

أما أبي فهو رجل ذو طيبة مفرطة.. يحبه الجميع عدا أمي التي تتشاجر معه خاصة عند نصحه لها بالابتعاد عن التجمعات.. فأبي يحرص على اتباع التعليمات بحذافيرها من غسل اليدين والبقاء في المنزل.. ولكنه ينس ووكل أمره إلى بارئها كما يقول لأمي ولأخواتي دائماً.. رغم أنني أحبه ولكنني غير مقتنعة بالبقاء في المنزل.. فقد بحثت في عالم الإنترنت عن وقت نشوء فيروس (كورونا) المستجد ووجدت بأنه ظهر في (ووهان) الصينية في شهر (ديسمبر).. مما يعني أن هذا الفيروس لن يصيبني البتة.. هل تعلمون السبب؟!.. ربما ستنعتونني بالمعتوهة ولكنني أؤمن بذلك تمام اليقين.. فولادة هذا الفيروس في شهر (ديسمبر) يعني بأنه من أصحاب برج (القوس).. أما أنا فبرجي هو (الثور).. وهذان البرجان لا يجتمعان

قط!.. لا أعلم ما حل بي وأنا أكتب هذه الأسطر.. أشعر بألم في حلقي وأظن بأن حرارتي مرتفعة..سأرتاح قليلاً ثم سأكمل بقية...

أكمل يا سيادة الرائد.. ماذا حدث بعد ذلك؟.. قال بعضهم بحماسة.

هذا آخر ما كتبته تلك المريضة يا سادة.. رحمها الله كانت في حالة بائسة وقد وجدنا هذه القصاصة بين متعلقاتها.. المسكينة.. فهي لا تعلم بأن أهلها سبقوها إلى رحمة الله!.. حتى والدها الذي تسببوا بقتله رغم حرصه على البقاء في منزله!!!

*****

من جديد!

اسمي (نمر).. أحدثكم وأنا أعيش في خضم أزمة فيروس (كورونا) أو ما يسميه "المثقفون" بـ (COVID-19).. أصبحت الحياة شبيهة بقبيل يوم المحشر.. إذ لازم معظم الناس بيوتهم وكأنهم ينتظرون أن يبعثوا من أجداثهم من جديد.. بل فرّ كل امرئ "من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه".. في مشهد شبيه بقبيل يوم المحشر.. سبق أن قلت هذه الجملة؟.. أليس كذلك؟!.. ربما لأنني لا أجد تعبيراً أنسب من ذلك.. لست ضليعاً في اللغة العربية ولكنني شابٌ بسيط في العقد الثاني من العمر.. ولا أجدُ شيئاً يُلهيني عن التفكير السلبي خلا كتابة ما يحدث لي.. لا أدري إن كنتم ستقرؤون مذكراتي وأنا أتنفس أم أن الفيروس كان قد كتم أنفاسي وقادني إلى خجر لا فرار منه البتة.. أما عن نشاطي اليومي فلا يعزى عن كونه مزيجاً بين مشاهدة الأفلام وتفقد قدور المطبخ وتصفح الأخبار على شبكات التواصل الاجتماعي.. وفي بعض الأحيان يزورني صديقي (صادق) بين الفينة والأخرى.. فأنا أعلم يقيناً بأن (صادقاً) لا يخرج من بيته إلا لزيارتي ثم يعود أدراجه وهكذا دواليك.. بدأ الملل يتسلل إلى عقلي.. ويتلاعب في خلايا دماغي الرمادية.. حاولت أن أقرأ كتاباً ولكنني توقفت عند الصفحة العاشرة من رواية كُتبت باللهجة العامية.. وعبر فيها الكاتب عن قهقهة البطل بمجموعة متتالية من "حرف الهاء".. اصطفت لكي تملأ تلك الصفحات البائسة التي تخلو من البلاغة وتستغيث بالأدب.. لذا.. قررت أن أغير حياتي الرتيبة وأزور (صادقاً) في منزله الذي يقبع أمام منزلنا.. وقفت وأنا أنظر إلى الشمس تداعب مآقي بانتظار أن يفتح الباب.. طال الانتظار.. ولكنني كنت مصمماً أن ألتقي بـ(صادق) حتى وإن كلفني ذلك نظري الذي كاد أن يضمحل من حرارة الشمس.. أعلم انني ابالغ بعض الأحيان ولكن أشعة الشمس كانت حارقة بشكل لا يحتمل.. فجأة.. فُتح الباب بقوة.. وكأن أحدهم أراد أن يقتلعه

من مكانه.. ازدردتُ لعابي وتراجعت للخلف بعدما سمعت أنواع السباب والشتائم التي خرجت من فم والدة (صادق) مع بعض قطيرات اللعاب.. لم أفهم سبب ذلك السباب.. ولكنها أمسكتني من رقبتي وقالت بحنق:

- أنت؟!.. ماذا تفعل عند منزلي؟!.. لا أريد رؤيتك مرة أخرى.. "هيا".

قالتها وكأنها تصفعني بالهاء وتلطمني بالياء وترديني أرضاً بألفها التي امتدت إلى عنان السماء!.. رجعت إلى البيت وأنا أقلّب أفكاري يمنة وشمالاً.. هل وشى أحدهم بي؟.. أم أن (صادقاً) أراد التخلص مني وأرسل أمه لكي تنهي صداقتنا؟!.. ركبت إلى غرفتي وأنا أبكي حتى كدت أن أغرق بدموعي!.. رويت ما حدث لوالدتي التي احتضنتني وبكت لبكائي.. كم هو مريح ذلك الحضن الحاني.. لا لا.. لن أطيل الوصف ولن أتحدث عن حنان الأم الآن.. ولن أفعل ما يفعله بعض الكتّاب الذين يستطردون في دهاليز أحاديث ويدخلون في أخرى.. حاولت أمي تهدئتي وحذرتني من الاقتراب من منزلهم مرة أخرى لأتجنّب سطوة لسان (سكينة).. أعني أم (صادق).. والتي لا تمّت للسكينة بصلة.. كانت الأيام تتوالى وأنا ألعب وأتابع الأفلام بمفردي.. حتى عاد (صادق) أخيراً واعتذر عمّا بدر من والدته سليطة اللسان.. لم أسأله عن سبب شتائم أمه لأنه كان خجِلاً ولم أشأ أن أزيده خجلاً على خجله.. تظاهرتُ بعدم الاكتراث وكأني لا ألوي على شيء.. أخبرني بأنه وجد "فيلماً" لكي يرافقنا في سهرة الليلة.. كانت ذائقته دائماً في محل ثقتي رغم أنني لا أثق حتى بنفسي.. هكذا يقول أبي دائماً.. كانت أحداث الفيلم تتمحور حول فتى فقد أخاه في حادث سيارة مؤلم.. دماء وحزن وبكاء متواصل طغت على أحداث الساعة الأولى من الفيلم.. لم أرغب في إكماله وشعرت بضيقة ربما لأننا كنا في فترة لا تسمح بمزيد من تلك المشاعر الحزينة.. انسدلت ستائر أجفاني وغططت في سبات عميق.. عندها.. غادر (صادق) كعادته وتركني "كعادتي" أتقلب ذات اليمين وذات الشمال.. لا أعلم إن كنت سأستطيع كتابة المزيد.. فحياتي لا تختلف عن حياة عامة الناس.. أبي.. ومزاجه السيئ.. ومفرداته الساخرة.. يسخر من كل شيء حتى من نفسه.. المفرح في الأمر أن طباعه لم تتغير أثناء الحجر عن قبله.. أعتقد بأن تقاعده من عمله أثر على كثير من جوانب حياته.. لا أعلم لأي جهة كان يعمل.. ولكنني أرجح عمله في شركة الكهرباء.. لحرصه الشديد على إطفاء جميع مصابيح المنزل.. أما أمي فكانت هادئة تقضي معظم وقتها في المطبخ.. كي تنهي يومها بكلمات والدي الساخرة على شطائرها تارة وعلى كعكها تارة أخرى.

مجّت الشمس ريقها معلنة حلول الصباح.. كنت أنظر من نافذتي التي تطل على

منزل (صادق).. ورأيت ما لم يكن بالحسبان.. إذ كانت والدة (صادق) تحزم أمتعتها وتشير إلى الخادمة بحمل المزيد.. كانت هناك شاحنة كبيرة تقف عند المدخل الرئيس.. ترجل منها عاملان وطفقا يحملان أثاث المنزل بروية ونشاط.. استغربت انتقالهم في هذه الفترة الحرجة.. وذهبت مسرعاً كي أودع صديقي.. ولكنّ سليطة اللسان راحت تمطرني بسهام سبابها مرة أخرى.. ولكنني لم أخف هذه المرة ورحت أرد الشتائم بمفردات أسوأ منها.. أشرت بسبابتي وأنا أرتجف من رأسي حتى أخمص قدمي:

- لماذا تمنعيني من صديقي (صادق).. لماذا؟!.. أجيبيني!

قالت وعيناها تمطر شرراً كالقصر:

- اذهب من هنا أيها المعتوه.. وإلا أرسلت في طلب الشرطة كي يعيدوك إلى مقرك مرة أخرى!

فتحت فمي وعيني ولم أصدق ما قالت.. راحت تزيد في الشتائم مرة أخرى.. ولم أستطع تحمل ما أسمع ورجعت إلى منزلي أجر أذيال الحزن والخيبة.. ورغم هذا كله لم يخرج (صادق) كي يودعني أو يحييني من بعيد كما أوصى جموع الأطباء للوقاية من ذلك الفيروس الـ... لا أعلم كيف أصفه.. وليس هذا ما يقلقني الآن.. سوف أفقد أعز أصدقائي ولن أراه بعد هذه المرة على ما يبدو.. ذهبت إلى أمي وقصصت لها ما حدث.. واغرورقت عيناها بالبكاء.. وعندها قامت تصرخ وتتحدث بحديث غير مفهوم.. قالت بعدما سكنت ثورتها:

- ما بك يا (نمر).. لقد أتعبتني.. وأتعبت أباك والجيران وكل من يعيش حولك.. صديقك (صادق) مات منذ مدة.. وكنت أنت السبب في قتله.. حادث.. حادث.. ألا تتذكر؟!..

كنت أستمع وأنا لا أعلم ما يحدث حولي وكأنني أعيش حياة غير التي أعرفها.. أكملت والدتي:

- لقد خرجت للتو من السجن يا (نمر).. وقد أصبت بصدمة لم تفق منها.. لقد امتنعت عن تناول العقاقير.. ورجعت إلى عهدك القديم.. تتحدث مع نفسك وتذهب إلى منزل (صادق).. حتى قدت والدته إلى الجنون.. (سكينة) التي لم نسمع لها صوتاً منذ سكنت الحي.. أصبحت لا تتفوه إلا بالسباب والشتائم.. وقد تركت الحي بعد أن ضاقت ذرعاً من زياراتك المتتالية.. هل تريد أن أريك مذكراتك؟!.. انظر إلى

مئات الأوراق المركونة هناك.. جميعها يعود إلى عام 2020 وهو العام الذي توفي فيه (صادق).. أفق يا (نمر).. نحن الآن في عام 2030.. عام عاد فيه (فيروس) كورونا من جديد!!!

عقب الرائد.. أقتبست هذه القصة من أحد المرضى في مستشفيات الأمراض النفسية.. وقد استعرت الكرّاسة من أحد الأطباء النفسيين الذين عينوا في قسم الأمن الوبائي في الآونة الأخيرة.. فقد طلب الطبيب من أحد مرضاه كتابة مذكراته وما يدور في خلده.. وقد كان للوباء أثر كبير في انتشار الأمراض النفسية .. ولكن هل ما كتبه ذلك المريض من مذكرات مع والدته سيتحقق في 2030.. أم أنها مجرد أوهام؟!

مكتبة بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

*****

حوقل

تحذير: هذه القصة مبنية على أحداث واقعية والعهدة على الراوي أو الراوية.. فقد روى هذه القصة النقيب (س. م) والذي غين في قسم الماورائيات الأمني.. فقد استحدث هذا القسم في دولة ما -لا أستطيع ذكرها- وذلك لكثرة ورود شكاوى تفيد بجرائم نفذها الجان على حد زعمهم.. لا أصدق تلك الترهات ولكن دعونا نستمع إلى أحد ضحايا هذا العالم المرعب.. فقد سجلت ما يحدث في منزلها على حد قولها والأسباب التي أدخلتها لعالم السحر الأسود:

يا سلام... إنه لأمر مريح أن تستلقي على سريرك بلا خوف وبلا قلق!!.. فهذه المرة الأولى التي لا أشعر فيها بضيق قبيل نومي.. بل وأستطيع إطفاء إنارة غرفتي وأنا هادئة مطمئنة.. بالمناسبة.. اسمي (شريفة).. وأقطن في قرية (الكوبي) التي تقع في منطقة ساحلية تغطيها النخيل في معظم أراضيها.. كنت أسكن في منزل متهالك بُني على سواعد أجدادي من الطين والجص البحري قبيل مئة عامٍ أو تزيد.. تزدان نوافذه بنقوش عثمانية يفوح منها عبق الماضي وتحكي نتوءاتها عن الصعاب التي جابهها أجدادنا رحمهم الله.. ورغم هذا كله.. فإنني كرهت ذلك المنزل لما عانيت فيه من أحداث ودوامات لم أستطع التخلص منها إلا للتو.. وما زاد كرهي له هو رحيل والدتي.. رحمها الله.. بعد معاناة من ذلك المرض الخبيث.. بدأت قصتي منذ عدة أشهر عندما شعرت ببلل في قدمي عند دخولي المنزل.. نظرت إلى الأسفل لأجد بقعة ماء تميل إلى اللون الأخضر تشغل الحيز الضيق من عتبة الباب.. استغربت الأمر فقد كنا في فصل الصيف الجاف وفتحات التكييف جافة أيضاً.. هل

قام أحدهم بسكبه عمداً أم أنهم مجرد أطفال قاموا بذلك العمل لإرضاء روحهم المرحة.. لا أخفيكم بأنني أؤمن تمام الإيمان واليقين بتأثير السحر.. لاسيما أننا نعيش في قرية تتسم بوجود الكثير من كتب الجان وكيفية تحضيرهم.. أعلم بأن هذا خطأ فادح.. ولكنني لم أبلغ الثلاثين من عمري.. وما زلت أتمتع بشيء من الطيش والفضول.. بعد أن جففت قدمي.. دخلت المنزل وأخبرت والدتي بذلك الأمر.. فقطبت حاجبيها وتنهدت حتى بانت أسارير جبينها.. ثم أردفت قائلة بصوت قلق:

- هل وجدت أي تسريب عند مدخل المنزل؟!.. أم أنها فتحات التكييف كالعادة؟!

قلت وأنا أقضم أظافري:

- لا شيء يا أمي.. لم أجد أي تسريب في كل أجهزة المنزل.. يبدو.. ويبدو...

قالت أمي وهي تنظر إلي:

- فهمت يا (شريفة).. أجارنا الله من كيد الكائدين ومكر الماكرين.

كانت تلك الليلة كحبلٍ غليظٍ لُفَّ على روحي حتى كادت أن تبلغ التراقي لتهرب إلى بر الأمان.. كنت أرجف خوفاً من شيء لا أعرفه.. أشعر به ويكأنه يخنقني.. يكتم على أنفاسي.. كنت أتنفس من فمي من شدة الضيق والكدر.. وكانت دموعي تسيل على وجنتي بلا سبب.. لا شيء سوى أنني وطأت على ذلك الماء المسكوب عند باب المنزل.. حاولت أمي تهدئتي ولكن محاولاتها لم تفلح.. رغم أن أنوار غرفتي كانت مضاءة إلا أنني أشعر بظلام دامس وليل سرمد يغطيني من رأسي حتى أخمص قدمي.. لم أنم ليلتها ورحت أتدثر في حضن أمي والذي لم أشعر بحنانه لأول مرة في حياتي.. في الليلة الثانية زادت الأمور سوءاً وكنت أظن بأن أحدهم يراقبني ويترصد حركاتي.. وما إن ألتفت خلفي حتى أرى خيالاً هارباً كلمح البصر أو هو أسرع من ذلك.. ظللت على تلك الحال لأشهر عديدة.. حتى تمكن الخوف والوهن من عقلي وجسدي.. أعلم أن بعضكم سيظن بأنني مقصرة في أداء عباداتي.. ولكنه على العكس تماماً من ذلك.. فقد كنت أصلي فروضي في أوقاتها بل وأطيل الوقوف بين يدي الله حتى لا يعود ذلك الشعور المقزز!!

في يوم ما.. كنت أحضّر طبق السمك المفضل لدى أمي.. كانت الساعة تشير إلى الواحدة ظهراً.. ورغم أشعة الشمس الحارقة إلا أن جميع أيامي كانت أشبه بغسق شديد الظلمة ولكنني اعتدت على ذلك.. كنت أبحث عن سكيني المفضلة التي

أضعها في الدرج الخشبي المهترئ والذي بدا كحطام حرب كانت قد وضعت للتو أوزارها.. كنت أقطع الخضار في شرود حتى أحسست بيد تمتد لتمسك ثوبي.. تجمدت في مكاني.. لا أعرف ماذا أفعل.. حاولت أن أتنفس بصعوبة ونظرت إلى حيث امتدت تلك اليد ووجدت طفلاً يحدق بي بجمود وعينين مفتوحتين..
صرخت حتى كادت حنجرتي أن تترك مكانها.. شعرت بغثيان يخنق معدتي حتى استفرغت ما يحوي بطني الخاوي إلا من عصارات حمضية حولت لون ما أقطعه من خضار إلى اللون الأصفر.. ارتشفت ما تبقى من الماء في الوعاء الفخاري حتى بللت رقبتي وثوبي.. ورحت أمسح بقايا الماء بساعد يدي.. وأنا أرجف كمحرك (جيمس واط) البخاري.. هرعت أمي بخطوات ثقيلة إلى المطبخ.. فأخبرتها بما حدث.. وحاولت أن تهدئ من روعي وتلملم ما تبقى من خلايا عقلي التي كادت أن تعطب من شدة الخوف.. أما أحلامي بل كوابيسي بمعنى أصح.. فكان لها الأثر الكبير في إفساد ساعة الراحة الوحيدة التي لطالما حاولت الحصول عليها ولو لفترات متقطعة.. كنت أرى ذلك الرجل ذا اللحية الكثيفة وهو ينظر إلي بعينيه الحمراوين المكتحلتين.. لا أذكر شيئاً مما يحدثنيه سوى إلحاحه بالزواج مني.. وما إن يقترب حتى أشعر بشيء يجثو على صدري حتى كاد أن يحطمه.. فأنهض وأنا أشهق كالغريق.. والعرق يتصبب من جبيني كمياه الشلال.. استمر هذا الحال لأشهر عدة.. أتوق فيها لطعم النوم الهانئ.. وسكون الليل المطمئن.. علمت إحدى صديقات والدتي بما حدث لي.. فأشارت لها بزيارة أحد "المشائخ" في مدينة (بيعات) التي تبعد خمسين كيلومتراً عن قريتنا.. كان الشيخ (صابر) معروفاً بين أبناء مدينته.. ورغم المداهمات التي تحدث بين الفينة والأخرى لمنزله.. إلا أنهم لا يجدون أحداً في كل مرة يدخلون ذلك البيت التراثي الجميل!!.. منزل له شرفةٌ طينية تطلّ على زقاق ضيق تجاوره بيوتات متلاصقة.. كان الباب الصدئ يجسّد أول مراحل الرعب التي انتابتني لمجرد وقوفي عنده.. دخلت ملتصقةً بعباءة أمي وكأنني فرخ بطريق التصق بأمه.. جلسنا في غرفةٍ فسيحةٍ ووجهني إلى أحد زواياها وأجلس والدتي في الزاوية المقابلة.. اقترب مني وكان يحيد بنظره إلى الجهة الأخرى.. كان الشيخ قصير القامة.. ذا لحية كثة.. معتدل الجسد.. وكان لون بشرته يميل إلى اللون الأبيض.. أمسك الشيخ بخرقةٍ خضراء ووضعها على إبهام قدمي.. كنت أشعر وكأنه يقتلعه من مكانه.. رغم أنه وضع يده لا أكثر.. فضلاً عن الجورب الثقيل الذي كنت ألبسه.. فقد كنا على مشارف أيام الشتاء.. وكانت زخات المطر تضفي مشهداً مرعباً على المكان.. رسم دائرة كبيرة أحاطت بي وبأمي.. ثم شرع بقراءة آية الكرسي.. واستمر بقراءة القرآن قرابة الساعة.. وحذّر والدتي مراراً وتكراراً بعدم الخروج من حدود الدائرة لئلا تصاب بأذىً.. ممن؟!.. لا أعرف.. كنت أشعر بالحر الشديد رغم

maktabah.blogspot.com

برودة الطقس.. لا أدري أهو بسبب خجلي.. أم بسبب ما يفعله الشيخ (صابر).. وبعد انتهائه من القراءة.. رفع الخرقة الخضراء وناولني حجابين.. أحدهما أغمسه في ماء ثم أغتسل به.. والآخر لوضعه تحت وسادتي.. نفذت تعليماته بحذافيرها.. ولكن الأمر ازداد سوءاً.. وعادت الكوابيس كما هي.. وكان الخوف يسيطر على كل ذرة من جسدي.. بل وكنت أنفر من قراءة القرآن ولكنني ما زلت التزم بصلاتي رغم أنني أحس بشيء يكاد أن يمنعني عنها.. عدت مرة أخرى ووالدتي إلى الشيخ (صابر).. وأخبرته بعدم جدوى تلك الحجب.. ولم ينبس ببنت شفة.. بل قام بإعادة ما فعله في المرة الأولى.. لم يتغير شيء البتة.. وعاد ذلك الرجل لإزعاجي في نومي.. وفي زيارتي الثالثة.. أجلسني كما المعهود في زاوية الغرفة.. وفي هذه المرة.. أعطاني خاتماً ثقيلاً من العقيق لأضعه في يدي اليمنى.. كان صوت مياه المطر يضفي مزيداً من الرعب في كل مرة أزور فيها الشيخ.. وقد كانت ظلال مروحة السقف تزيد المشهد فظاعة.. وكأن شفراتها تقطعني في كل مرة تدور حول جسدي.. وما إن لبست الخاتم.. حتى أحسست بخدرٍ في يدي وكأن حشرة تسري في عروق دمي.. وضع الشيخ تلك الخضراء على إبهامي كالمعتاد.. وزاد الألم بشكل لا يطاق هذه المرة.. حتى أنني حاولت سحب إبهامي من بين أصابعه فلم أستطع.. وفي أثناء ذلك.. دخلت امرأة وألقت التحية على الشيخ.. فقال الشيخ بصوت أجش:

- ستساعدنا هذه المرأة الليلة في تحضير بعض الطقوس لا أكثر.. لا تقلقي من وجودها.

لم أكن أعلم ماهيتها.. أهي من الإنس أم من الجن.. ولكنني لم ألتفت إليها بسبب التعب الذي أشعر به.. أحسست بروحي تصعد إلى عيني.. وكُشِف الغطاء فجأة.. شعرتُ بالوجل.. فسألني الشيخ بصيغة المذكر:

- من أنت؟! وما هي ديانتك؟!

كان لساني يتحدث بلا تحكم من عقلي فقلت:

- اسمي (حوقل).. وأدين بدين يوشع بن نون بن أفراهيم بن يوسف بن يعقوب بن إسحق بن ابراهيم.. من قبيلة إفرايم من بني اسرائيل!!

قال الشيخ بنبرة غاضبة:

- وما سبب إيذائك لـ (شريفة)؟!

قلت وازدرد لعابي:

maktabbah.blogspot.com

- إنني خادم موكل ليس إلا!

- ابتعد عنها في الحال.. أقسم عليك بمن سمك السماء.. وبسط الأرض.. وأنهر المياه من الضمّ الصياخيد عذباً واجاجاً.. وانزل من السماء ماء ثجاجاً...

بدأ بدني بالارتجاف والوهن.. ولكنه استمر في مخاطبته محاولاً أن يتركني.. وفي أثناء ذلك رأيت ظلاً أسود يجاورني ويتحدث معي في الوقت نفسه.. كرر عليه الشيخ أوامره بتركي.. واذعى بأنه سيقتل ويعذب إذا ما ترك جسدي.. كانت زخات العرق تغطي جلّ وجهي وزاد الألم الذي أشعر به في إبهامي وكأنه سيكسر.. سأله بغلاظة:

- ومن أوكلك لفعل هذا الأمر؟!

أجاب:

- (ربيع)... من قرية (الغلّة)!

وعندها رأيت طريقاً زراعياً غطته أشجار النخيل بكثافة.. يؤدي ذلك الطريق إلى مزرعة يقطنها شيخ كبير يعمل في تلقيح النخل.. وإحراق سعفه.. كان يلبس لباس الثلاحين التقليدي.. إزارٌ أزرق وقميص داخلي أبيض اللون.. وتغطي رأسه (غترة) صنعت من نسيج يميل إلى اللون الأصفر.. وفي أثناء ذلك.. رأيت امرأتين تدخلان تلك المزرعة.. نعم.. أعرفهما.. أعرفهما جيداً.. المرأة الأولى سمراء اللون تضع النظارات على عينيها الصغيرتين.. أما الأخرى فكانت بيضاء اللون.. فارعة الطول.. إنها ابنة عمي.. كنت مشدوهة لهذا الأمر.. وقد كان ذلك واضحاً على محياي.. فقال الشيخ مخاطباً المرأة التي كانت تساعده.. ما الذي تراه؟!.. لم هي مصدومة هكذا؟!..

فروت المرأة ما كنت أراه بالتفصيل!!!.. كانت ترى ما أراه هي الأخرى..

فسأل الشيخ (صابر).. وهل تعرفين هؤلاء النسوة يا (شريفة)؟!

قلتُ:

- نعم.. ابنة عمي... وهي من سكبت ذلك الماء عند منزلنا...

وما إن نطقت بتلك الجملة حتى اشتاطت أمي غضباً وخرجت من حدود تلك الدائرة.. ففضب الشيخ.. وقام خلفها وهو يردد أوراداً وآياتٍ قرآنية.. خوفاً من حدوث مكروه لوالدتي.. فقد كانت والدتي تحب ابنة عمي حباً جماً ولم تصدق ما سمعته.. وكانتا تتناولان طعام الإفطار كل صباح في منزلنا بعد قضاء وقت لا بأس

به من تجزع قدرٍ لا بأس به من الغليون.. سألني بعد أن أغلق الباب خلف أمي:

- هل هذا كل شيء؟!

أجبته وأنا أتنفس بصعوبة:

- لا.. بعد سكب الماء.. وضعت ابنة عمي حجاباً في صالة منزلنا قبل سكب الماء بفترة.. إذ كان المنزل تحت الصيانة.. والصالة تخلو من البلاط وتمتلئ بالرمل...

وصفت المنزل بدقة أثناء فترة صيانته!!!.. أما سبب قيام قريبتي بهذا الأمر.. فقد صرّح الخادم على لساني بأنها تريد أبناء والدتي.. وإبقائي عزباء حتى يدفنني الناي في قبري.. فقد بلغت الثلاثين من عمري دون أن يخطفني أحدهم بحصان ولا حتى حمار أبيض.. ما فتئ الشيخ بالاستمرار في تهديد الخادم ليتوقف عن إيذائي.. حتى أمرني أخيراً بنزع الخاتم وإنهاء الجلسة.. قال متنهداً:

- ستنامين هذه الليلة قريرة العين.. مطمئنة البال بإذن الله!!

خرجت، وما زالت رائحة بخور ((اللبان) عالقةً في عباءتي.. وكأنني خرجت للتو من فيلم سينمائي.. كتبته قريبتي بيدها القذرة.. وأخرجه الشيخ (صابر).. وعلق في دهني أنا!!!

بعد أسابيع عدة.. زارنا الشيخ في منزلنا بحثاً عن الحجاب المدفون.. جاء ومعه تلك المرأة غريبة الأطوار.. وأشارت إلى مكان غير الذي رأيته ذلك اليوم.. حاولت أن أقنعه بأنه لن يجد شيئاً هناك.. وأن الحجاب مدفون في مكان آخر.. فلم يعرني اهتماماً.. وأمر بتكسير البلاط في المكان الذي أشارت له المرأة.. وفعلاً.. لم يجد شيئاً.. وعندها رفض أخي تكسير المكان الآخر الذي أشرت إليه.. متهماً إياي بالجنون!!!

مرّت الأسابيع الأولى بهدوء.. ولكن الكوابيس كانت تزورني بين الفينة والأخرى.. ولكن بشكل متقطع.. اعتدت على الأمر حتى سافرت وأمي إلى إحدى الدول العربية المجاورة.. وكانت صديقتي (مها)ترافقني في الرحلة.. كانت (مها) كغيرها من صديقاتي مهووسة بقصص الجان والسحر.. وكانت تروي لي أعاجيب مما تراه في منزلها.. وكانت دائماً ما تتحدث عن تلك المرأة العربية الصالحة التي تمتهن الرقية بالقرآن كما تدّعي.. قصدنا ذلك المنزل ويكأنه وشيعةً فيها ذئابٌ ونقد .. كان المنزل مخيفاً بشعاً.. ولكنني آثرت على أن أذهب مع (مها) على أن أبقى وحدي بعد خلود أمي إلى النوم.. فكما يُقال.. ويلٌ أهون من ويلين.. ولما وقعت عيناي على المرأة

اشمأزت نفسي وكدت أغادر المكان.. أصرّت المرأة البدينة على إطعامنا السمك والأرز.. وكانت تحذق بي بشكل مريع.. قالت وهي تبتسم بخبث جلي:

- يبدو أن من يسكنك لا يحبني البتة.. فهو يريد مغادرة المكان بأسرع وقت!!

اقتربت مني ووضعت يدها على رأسي وشرعت في قراءة آيات من القرآن الكريم.. في الحقيقة لم أشعر بشيء.. ولكنها نظرت إلي وقالت:

- يبدو أن امرأة بيضاء تكن لك السوء وتكيد لك لإيذائك!!

لم أبد أي رد فعل لما قالته.. ثم أردفت قائلة:

- ستصاب هذه المرأة بضربة سكين في صدرها!

قلت بتعجب:

- هل ستموت؟! أم ماذا؟!

- لا.. لا. سيجرى لها عملية جراحية طارئة!!

وبالفعل.. أصيبت تلك المرأة بسرطان الثدي بعد رجوعنا بأيام قليلة.. وأجريت لها عملية جراحية لاستئصال الورم.. لم تصدق أمي ما رويته لها.. وقالت بأن هذا مجرد صدفة لا أكثر.

اشتريت كتاباً من تلك الدولة يتحدث عن السحر وعن تحضير الأرواح.. كنت مغفلة لا أعي ما أعمل.. ولكن الفضول أعمى بصيرتي.. وطبع على قلبي.. وعند عودتي إلى قريتي.. بدأت بتطبيق ما كتب في ذلك الكتاب اللعين والذي حول أيامي التالية إلى عذاب وتعاسة.. وفي أحد صفحات الكتاب.. كانت هناك طريقة لرؤية الجان بكتابة بعض الآيات والطلاسم.. ثم ينفخ فيها عدة مرات وتوضع في قنينة زجاجية ذات عنق ضيق.. فعلت ذلك وعلقت القنينة في غرفتي ولم أر شيئاً... فنسيتها.. مرت عدة أيام.. حتى بدأت أنهض من النوم مفزوعة وكأن أحدهم لكمني على وجهي!!.. كنت أرى حلماً غريباً تلك الفترة.. أرى أنني في مركب كبير وسط بحر غير الذي نعرفه.. ويحيط بي رجال لهم أعين مخيفة.. بل مفزعة.. لا أستطيع وصفها من بشاعتها.. وكلما حاولت الهرب منهم.. أراهم بجانبي وأنهض مفزوعة كما أخبرتكم.. دامت هذه الأحلام لمدة عام كامل.. وكنت وأخي نتنزه في أحد الشواطئ تلك الفترة في عطلة نهاية الأسبوع.. وما إن أخطو في البحر.. حتى أتذكر أمر القنينة المعلقة في غرفتي.. وإذا رجعت إلى المنزل أنسى أمرها تماماً.. وظللت على

تلك الحال لمدة طويلة جداً.. أشعر وكأن غرفتي مزدحمة بأناس لا أراهم.. وفي بعض الأحيان أسمع هيضلة وجلبة تقشعر لها الأبدان.. في ليلة ما.. كنت أقرأ رواية وأنا ممتدة على سريري وكان وجهي مقابلاً لجدار الغرفة.. أحسست بشيء يلمس جسدي.. وكأن أحدهم يسحب اللحاف ببطء.. كانت دقات قلبي تتسارع كقرع الطبول.. حاولت سحب اللحاف ناحيتي.. وفجأة.. سُحب بعنف حتى التف بدني إلى الجهة الأخرى.. لم أستطع الصراخ وكأن أحدهم قد قطع أحبالي الصوتية.. كان القرآن على مقربة من سريري.. وما إن تناولته.. حتى أحسست بأنني حرة طليقة وأستطيع التحكم بجميع أعضائي بعد أن كانت مقيدة مشلولة!!!.. بعد عام من قراءتي ذلك الكتاب.. تذكرت أمر القنينة.. فتناولتها وغسلتها بماء البحر يوم الجمعة عند خروجي إلى رحلتنا البحرية المعتادة مع أخي وزوجته..

كنت أظن بأن ما أراه ما هو إلا محض أوهام.. ولكن والدتي أكدت لي بأن ذلك المنزل تسكنه امرأة من الجن.. وكانت تحدثها كل صباح بصوت إحدى صديقاتها التي توفيت من عشرات السنين.. وكانت تخبر أمي بأشياء غابت عن ناظريها.. ففي أحد الأيام.. كانت أمي تتناول طعام الإفطار مع صديقتها (خديجة).. وكانتا تتسامران وتضحكان كعادتهما.. وسمعا صوت المرأة المتوفاة.. تقول بصوت مستنكر:

- أتضحكون؟!.. قبح الله سعيكم.. قمن وأعددن طعام الغذاء وإلا سيوبخكن الحاج (عبدالرحمن).. متى ستصبحن نشيطات كجارتكم (صباح).. فلقد فرغت للتو من طهو مرق السمك!!

وبالفعل توبخ أمي من قبل عمها الحاج كما يعرف في القرية.. وما يزيد الأمر رعباً.. هو أن (صباح) كانت قد طبخت مرق السمك بالفعل!!!.. كانت أمي تلقب تلك المرأة بـ(راعية البيت).. وكانت أمي لا تخاف منها البتة بل كانت تؤنس وحدتها كما تقول.. حزنت أمي عندما توقفت (راعية البيت) عن التحدث إليها.. وتظن بأن روحها كانت قد صعدت إلى بارئها!

لم تقتصر والدتي على رواية تلك القصة فحسب.. إذ حدثتني بأنها كانت تلاعب حفيدها (حسن) وانشغلت بالحديث مع النساء.. ورأت حفيدها يتوجه إلى دورة المياه.. فركضت خلفه حتى دخل.. ولما أنارت أمي المصباح.. لم تجد حفيدها.. بل كان يلعب في الطابق العلوي.. معي أنا!!!.. وأكدت والدته.. أختي.. كلام والدتي.. بأنها رأت طفلها يتوجه إلى دورة المياه هي الأخرى!

تزوجت أخيراً برجل يكبرني بعشرين عاماً.. بعد أن تجاوزت الرابعة والثلاثين

maktabah.blogspot.com

حولاً.. كان رجلاً طيباً.. عوضني عن كل ما رأيته من عذاب وفزع صير حياتي إلى جحيم.. كان ذلك بعد وفاة والدتي رحمها الله بفترة ليست ببعيدة.. كنت أعيش حياة اعتيادية كغيري من المتزوجات.. وفي أحد الأيام.. كنت قد دخلت دورة المياه.. وفجأة.. انقطع التيار الكهربائي.. وسمعت دوي انفجار في أحد المصابيح.. صرخت بأعلى صوتي وخرجت مفزوعة لا أقوى على المسير.. صرت أسمع صوت فحيح مزعج في أذني.. وصرت أهاب الذهاب إلى المطبخ بشكل غريب.. صرت أرى زوجي يحدثني في المطبخ لفترة طويلة.. ثم أسمع صوت مزلاج الباب.. نعم.. إنه زوجي كان قد قدم للتو من المسجد.. إذاً من كان يتحدث معي طوال ذلك الوقت؟!..

يمتلك زوجي مزرعة صغيرة بجوار شقتي.. كنت أقضي بعض الوقت مع القطط بعض الأحيان.. أنجبت إحداها ثلاثة ذكور.. كنت أعشقها إلى حد الثمالة.. ولكنني كنت أستغرب من أحدها.. إذ إنني لم أسمع مواءه كبقية إخوته.. وكان يلتصق بي طوال الوقت ويلاعبني أكثر من البقية.. وعندما كنت في الأشهر الأخيرة من حملي بجنيني.. توقفت عن الذهاب إلى المزرعة خشية أن تصيبني تلك القطط بداء ما قد يؤثر بشكل سلبي على حملي.. وفي غضون ذلك رجعت الكوابيس والأحلام مرة أخرى.. كانت هذه الأحلام تتجسد بظهور رجل يلاحقني طوال مدة الحلم.. واستمر هذا الحال لأيام عدة.. وكانت حالتي النفسية تسوء.. وبدأ الملل والكدر يتسلل إلى حياتي مرة أخرى.. فطلب مني زوجي الذهاب إلى المزرعة للاستمتاع ببعض الوقت.. كنت وحيدة هناك.. إذ لم أجد القطط كعادتها.. فناديت ذلك القط باسمه.. فقد كنت أسميه (أنيس).. وما إن نطقت باسمه.. حتى ظهر فجأة في أحضاني وكأنه نزل عليّ من السماء.. كان صوته يشبه الأنين.. كأنه يريد أن يخبرني باشتياقه إلي.. ولما اقتربت إحدى القطط همّ (أنيس) بضربها على وجهها واقفاً على رجليه كالإنسان تماماً!!!

يا سلام.. إنه لأمر مريح أن تستلقي على سريرك بلا خوف وبلا قلق.. فهذه المرة الأولى التي لا أشعر فيها بضيق قبيل نومي.. بل وأستطيع إطفاء إنارة غرفتي وأنا هادئة مطمئنة.. ما هذا الظل الذي أراه هناك؟!.. لا يهم.. المهم بأنني سأغط في نوم عميق!!!

*****

maktabbah.blogspot.com

مكتبة بيت الحصريات
maktabbah.blogspot.com

مؤتمر الموت

انتهى المؤتمر بانتهاء تلك القصة.. ولكنني مازلت أهيم بين عجائب ما سمعته.. قصص غريبة.. قاسية.. بل مخيفة.. وها أنذا أنقل إليكم أغرب ما سمعته من القصص.. لم أروها جميعاً بالطبع.. لأن بعضها كانت مملة بعض الشيء.. فقررت أن أحتفظ بها لنفسي.. المحزن في الأمرإن هذا المؤتمر لن يُعقد في السنة القادمة.. وذلك لاتفاق التبادل الأمني بين الدول والذي طرح في هذا المؤتمر.. فمن شأنه أن يُري تبادل المعلومات الأمنية ويصقل التجارب الجنائية على أرض الواقع بدلاً عن رواية الجرائم في مؤتمر مليء بالدماء والموت.. وقع ممثلو الدول هذه الاتفاقية ورحل كل الضباط إلى بلدانهم.. ولكنني بقيت أتجول في معالم المدينة السياحية.. فالسفر ضرورة وليس مجرد ترفيهٍ كما يعتقد بعضهم.. ففيه تتعرف على ثقافات ومعالم متعددة.. وتهيم بأنواع طعامٍ لم تذقه من قبل.. وقد تتعرف على أصدقاء جدد بل قد تتعرف على نفسك التي لم ترها منطلقة بحماسة كما تفعل عادة في الأسفار.. أرجو أنكم استمتعتم معي في مؤتمر الموت ابتداء من "قِبلة ترضاها" وانتهاءً بقصة بطلها "حوقل"!

محبكم،

حسن

maktabbah.blogspot.com

maktabbah.blogspot.com

أكبر مكتبة للكتب و الروايات الحصرية
والمميزة والنادرة بصيغة PDF

تابعونا على الموقع الرسمي

www.maktabbah.blogspot.com

أو على قناة التيليجرام

t.me/alanbyawardmsr